



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدِيْنَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

ملحق

العدد الرابع والثمانين / السنة الواحدة والخمسون

رَجَب - ١٤٤٢ هـ / آذار ١١ / ٣ / ٢٠٢١ م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل:

radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>

المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية
باللغة العربية واللغات الأجنبية

ملحق العدد: الرابع والثمانين السنة: الواحدة والخمسون رجب - ١٤٤٢هـ / آذار ٢٠٢١م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الأنبار/ العراق
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الزيتونة/ الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/ جامعة بابل/ العراق
الأستاذ الدكتور كلود فيننثر	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلبي/ فرنسا
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/ جامعة طيبة/ السعودية
الأستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/ جامعة عين شمس/ مصر
الأستاذ الدكتور عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/ جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتور غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتور وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتور أسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: أ.د. لقمان عبدالكريم ناصر	- مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية
أ.م.د. أسماء سعود إدهام	- مقوم لغوي/ اللغة العربية
المتابعة: مترجم. إيمان جرجيس أمين	- إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	- إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

- ١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup> .
- ٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login> .
- ٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .
- ٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :
 - تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف /١٦ المتن: بحرف /١٤ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورتات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .
 - تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة. ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
 - يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .
- ٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :
 - يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .
 - يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
 - يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأنّ يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره و فقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثّة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلّتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبّر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فافتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
٥٠ - ١	أبو عبد الله الحُمَيْدي وكتابه جَدْوَةُ الْمُقْتَبِسِ أ.د. حازم عبد الله خضر
٨٨ - ٥١	القيم الخلقية في شعر النمر بن تولب م.م. طارق محمد امين عبدالله الامام و أ.د. ابراهيم محمد محمود الحمداني
١٠٦ - ٨٩	أثر عقدة النقص في شعر بشار بن برد أ.د. منتصر عبد القادر الغضنفرى و أحمد عبد الوهاب حيو
١٢٤ - ١٠٧	الذاكرة في رواية أحفاد أورشناي لهيثم بهنام بردى م.د. جمان فيصل خليل و أ.د. فيصل غازي النعيمي
١٥٤ - ١٢٥	التصحیحات النحویة للعکبری في كتابه "التبيان في إعراب القرآن" أ.م.د. سعد محمد أحمد
٢٠٠ - ١٥٥	الصفات البشرية المعنوية السلبية في القرآن المجيد .دراسة دلالية . أ.م.د. صلاح الدين سليم محمد أحمد
٢٢٤ - ٢٠١	الغزل والغزل المكثى في شعر حميد بن ثور الهلالي أ.م.د. رافعة سعيد السراج و أ.م.د. إيمان خليفة حامد
٢٥٤ - ٢٤٥	العنوان ومقصدية الاختيار أ.م.د. غانم صالح سلطان و مشعل عايد دبي
٢٩٢ - ٢٥٥	الاقْتِرَاضُ اللُّغَوِيُّ فِي مُعْجَمِ مَقَابِيسِ اللُّغَةِ لِأَحْمَدَ بْنِ فَارِسٍ (ت ٣٩٥هـ) م.د. حَكِيمَ عَبْدِ النَّبِيِّ حَسَنَ إِبْرَاهِيمَ
٣١٢ - ٢٩٣	فاعليّة المتخيل العجائبي في رواية (أبناء السيدة حياة) للكاتب حسين رحيم م.د. محمد حميد بلال
٣٤٢ - ٣١٣	اللّسانيات العربيّة عند تمام حسان بين التّأصيل والحداثة . المستوى الصّوتي أنموذجًا . د. سميرة عبدالمالك و د.نادية شارف
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
٣٦٨ - ٣٤٣	أوضاع التعليم الرسمي في كركوك ١٨٧٠-١٩١٤ أ.م.د. لمى عبد العزيز مصطفى
٣٩٦ - ٣٦٩	إسهامات المرأة في بناء الأربطة في مدينتي بغداد ومكة المكرمة في العهد العباسي المتأخر (٤٤٧ - ٦٥٦هـ / ١٠٥٥ - ١٢٥٨م) م.د. شهلة برهان عبدالله
٤١٦ - ٣٩٧	عساكر السكبان ودورهم في بلاد الشام ١٥٩٥-١٦٣٥م م.د. أحمد محمد نوري أحمد العالم
بحوث الفلسفة	
٤٥٢ - ٤١٧	نظرية المعرفة عند لايبنتز أ.م.د. زياد كمال مصطفى
٥٠٦ - ٤٥٣	الهيرمينوطيقا من التأويل إلى التحريف دراسة أصولية م.د. نور الدين جميل عبد القادر التاوطوزي

بحوث علم الاجتماع

٥٣٢ - ٥٠٧	الحكايات الشعبية ودورها في تنمية الطفل اجتماعيًا دراسة تحليلية للحكاية الشعبية الموصلية أ.م. نجلاء عادل حامد
٥٧٤ - ٥٣٣	تمثيل المرأة في الوظائف القيادية بين التحديات واليات التمكين ((دراسة ميدانية في مدينة الموصل)) م.م نور يحيى يوسف

بحوث المعلومات والمكتبات

٦١٤ - ٥٧٥	قواعد الفهرسة ومدى تأثرها بتطورات الضبط الببليوغرافي ومعايير المبتاداتا أ.م. رفل نزار عبد القادر الخيرو
-----------	--

بحوث علم النفس التربوي وطرائق التدريس

٦٦٠ - ٦١٥	أثر استخدام أسلوب تحليل النصّ في تحصيل طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلاميّة أ.م. خولة احمد محمد سعيد البريفكاني ونعم محمد باسل قاسم العزاوي
٦٨٦ - ٦٦١	أثر استراتيجيّة (Swom) في تحصيل طلبة الصفّ الرابع العِلْمِيّ في مادّة قَوَاعِدِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ م.د.شهاب أحمد حنش
٧١٠ - ٦٨٧	الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس الإعدادية في محافظة دهوك - قضاء عقرة أ.م.م. وعد سعيد طه و م.م. شوّاف محمد مصطفى

بحوث الآثار والدراسات المسماوية

٧٢٨ - ٧١١	أسباب الأمراض وطرائق معالجتها عند المصريين القدماء دراسة مقارنة مع العراق القديم أ.د. عبد الرحمن يونس عبد الرحمن
-----------	---

بحوث الشريعة الإسلاميّة وأصول الفقه

٧٥٠ - ٧٢٩	أهداف الحوار عند اليهود مع الرسول (ﷺ) أ.م. د.ظفر عبد الرزاق ذنون و م.م. وعد الله صالح جاسم
٨٠٤ - ٧٥١	حكم التعامل بالعملات الإلكترونية وضوابطه الشرعية أ.م.م. محمود محمد علي الزمناكوي
٨٢٤ - ٨٠٥	الإبادة الجماعيّة من منظور القرآن الكريم والكتاب المقدّس م.د.نذير سعيد مصطفى و م.د.عبد الحق هنر عوني
٨٧٠ - ٨٢٥	آراء العلماء في التفرقة المقصود في خيار المجلس وتطبيقاته الفقهية (دراسة مقارنة) م.د. جمال عزيز أمين

نظرية المعرفة عند لايبنتز

أ.م.د. زياد كمال مصطفى*

تأريخ التقديم: ٢٠١٣/٤/٩

تأريخ القبول: ٢٠١٣/٥/٨

المستخلص :

تتميز عقلانية لايبنتز في نظرية المعرفة بسمتين أساسيتين: الأولى هي الموائمة بين الأسس المنهجية النظرية للمعرفة، والجذور الميتافيزيقية للمعرفة الإنسانية. أما الثانية، فهي محاولته التوفيقية بين نماذج فلسفية متعارضة في موقفها من المعرفة.

فما مدى إسهام فيلسوف الموناد في وضع دعائم منطقية للمعرفة؟، وما مدى نجاحه في ربط الاستمولوجيا بالانطولوجيا؟، وما مدى تأثيره في التأسيس لموقف نقدي توفيقى من المعرفة؟، هذه الأسئلة هي التي دارت حول محاورها مضامين البحث. **كلمات مفتاحية:** المعرفة، الموناد، الميتافيزيقا، مذهب المناسبة.

مشكلة البحث: (المونادات) التي تؤسس لفلسفة لايبنتز العقلية برمتها، لها القدرة على الوصول على الحقائق الأزلية هي التي تمتاز تحديداً بالمعرفة الحدسية القائمة على حقائق العقل لا حقائق الواقع، وأن الأفكار الفطرية موجودة في العقل على سبيل القوة أو الإمكان، وهي تخرج إلى حيز الفعل عن طريق الإثارات الحسية وهذا يعرف (بمذهب المناسبة) في نظرية المعرفة، لذلك وقف لايبنتز من المعرفة موقفاً وسطاً بين العقلانية والتجريبية، مع الاحتفاظ بالأسس الروحية لها.

من هنا تشكلت لدينا فكرة البحث، وحددت مشكلتها في البحث عن الأسس النظرية والميتافيزيقية لنظرية المعرفة عند لايبنتز من جهة، والبحث عن طبيعتها العقلانية التوفيقية القائمة على مذهب [المناسبة] من جهة أخرى.

البحث، أهميته ومنهجه: يعد تفسير لايبنتز الروحي لتكوين العالم تأسيساً حقيقياً لبناء منهجه الفلسفي والتكوين المنطقي لنظرية الإدراك والمعرفة، ذلك أن المونادة أو (الذرة

* قسم الفلسفة/كلية الآداب/جامعة الموصل .

الروحية) هي الجواهر الفردة التي منها يتألف العالم، التي تبعاً لاختلافها وتمايزها في الوجود تتدرج المعرفة بين الكائنات فيها. هنا تكمن أهمية البحث، أي في بيان الأسس الميتافيزيقية للمعرفة عند لايبنتز، ومدى اختلاف الفيلسوف عن أقرانه من الفلاسفة العقليين في تقديمه وشرحه لمثل هكذا تفسير.

اعتمد البحث منهجاً (تحليلياً موازناً)، من خلال التركيز على تفسير ما هو (منهجي منطقي) وما هو ميتافيزيقي في نصوص وشروحات فلسفة لايبنتز -فيما يتعلق بموضوع البحث- ومقارنة هذين التفسيرين بموقفه من الاتجاهين العقلي والتجريبي في ميدان نظرية المعرفة.

حدود البحث وهدفه: يتركز البحث حول البناء المنهجي للمعرفة في بيان طبيعة مصادرها ودرجاتها وحدودها عند لايبنتز، فضلاً عن الوقوف على الجذور الميتافيزيقية للمعرفة من خلال توضيح صلة الوجود القائم على مبدأ (الانسجام) بالمعرفة، وتفسير فكرة (الحقائق الأزلية) أو صلة العقل بالإيمان. لينتهي البحث إلى تحليل أهمية (مذهب المناسبة) التوفيقي في المعرفة، والمتعلق بموقف لايبنتز النقدي تجاه كل من جون لوك ورينيه ديكارت.

تمهيد: الأسس المونادية لتراتبية المعرفة اللايبنتزية.

يعود أصل مصطلح الموناد (الموناس Monas) إلى اليونان، أي بمعنى الوحدة، وكان يشير لديهم إلى (جواهر فردية) أو ميتافيزيقية. فالموناد هو وحدة بناء الأشياء عند الفيثاغوريين، وهو الذرة الداخلة في تركيب الأشياء عند ديمقريطس، والصورة المصغرة للعالم الذري الذي يجمع بين المادة والروح عند برونو^(١).

أما لايبنتز فهو يعرف (الموناد) بأنه: "جوهر بسيط يدخل في تكوين المركب، والبسيط معناه ما لا أجزاء له... وحيث لا تكون أجزاء، لا يمكن أن يكون ثمة امتداد ولا شكل ولا

(١) ينظر: قراءة للمصطلح الفلسفي، ترجمة وإعداد: د. صفاء عبد السلام جعفر، تقديم: د. حبيب

الشاروني، دار الثقافة العلمية - الإسكندرية، ط ١، ١٩٩٨، ص ٥٥.

انقسام^(١). وهذه المونادات هي الذرات الحقّة التي تتكون منها الطبيعة، وهي على الجملة عناصر الأشياء^(٢).

فكتاب المونادولوجيا عند لايبنتز (١٧١٤) يتناول فلسفته في الجوهر، وهو يتألف من قسمين: الأول يتضمن فكرة الجواهر التي تؤلف العالم، والثاني يبين الصلة التي تفسر علاقات تلك الجواهر فيما بينها أثراً وتأثيراً. ذلك أن "كل مونادة، وكل مركز جوهري لا بد أن تكون إدراكاته ومنازعه منظمة على أفضل وجه بحيث تتوافق مع سائر الأشياء في مجموعها"^(٣).

هذه الجواهر الفردة ليست في مستويات متشابهة، فهي تشكل سلماً طبقياً يعلو فيه بعضها فوق البعض الآخر في الوضوح والتميز للذين تعكس بهما العالم. وتختلف في درجة إدراكاتها تبعاً لمنزلتها^(٤)، وكل جزء من المادة هو عالم ملئ بالمخلوقات، مزود بالنشاطات وليس امتداداً كما تصور (ديكارت). أما المكان والزمان فليسا حقيقيان، كما أن الحركة ليست حقيقية، فالمكان ارتباط وترتيب للأجسام أو (العلاقات الخارجية)، والزمان ترتيب لتعاقب الأحداث أو (المعية)، والحركة ليست إلا أثراً من آثار القوة^(٥). فالتغييرات في الجسم البشري تحدث من أجل الجوهر الفرد المسيطر: فحين تتحرك الذراع، إنما يؤدي غرضاً يخدم ذلك الجوهر المسيطر (أي الذهن)، وليس الجواهر الفردة التي تؤلف الذراع. هذه حقيقة ما يظهر للإدراك السليم كضابط للإرادة على الذراع^(٦). وبذلك تحمل فكرة الموناد عن لايبنتز هدفين رئيسيين، الأول: تفسير جديد للحركة في علم الديناميكا. الثاني: تفسير جديد

(١) يرفض لايبنتز تفسير ديمقريطس للطبيعة في الانقسام إلى ما لا نهاية، وتفسير ديكارت لها بالامتداد.

(٢) جورج فيلهلم لايبنتز، المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، تقديم وترجمة وتعليق:

د. عبد الغفار مكاي، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة، بلاط، ١٩٧٨، ص ١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٤) ينظر: برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية - الفلسفة الحديثة -، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي،

الهيئة المصرية العامة للكتاب، بلاط، ٢٠١٢، ج ٣، ص ١٢٦.

(٥) ينظر، علي عبد المعطي، لايبنتز فيلسوف الذرة الروحية، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، بلا

ط، ١٩٨٠، ص ٢٣٤.

(٦) ينظر، برتراند رسل، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٧.

للميتافيزيقا على أساس هذا العلم، أما الحركة فهي تفسر بمبدأ جديد هو القوة، والقول بالقوة في علم الديناميكا قد دفع لايبنتز إلى القول بوجود جوهر للأعيان، فكل موجود فيه قوة يكون جوهرًا، هذا الجوهر هو الموناد^(١).

والحقيقة إن هذه التفسيرات جاءت متفقة مع تصورات لايبنتز للخصائص المعرفية التي تحملها كل مونادة أو كل جوهر: فطبيعة المونادة تقضي بأن تكون جميع معارفنا (باطنة)، إذ ليس للمونادة نوافذ تنفذ منها صور الأشياء. إنها موجود متميز متشخص، فلا يمكن اعتبارها خالية بادئ ذي بدء، وإلا لم تتميز من غيرها تبعاً لمبدأ (هوية اللامتيازات)^(٢). وهذا هو السبب في أن أصول المعرفة موجودة في كل مونادة فردية، أو كل (عقل) على حدة، بحيث تنشأ عن طريق نشاطها الباطن، وتتقدم من إدراك إلى إدراك إلى أن تصل إلى أكبر قدر من الوضوح والتميز^(٣). "وليس باستطاعتنا أن ندرك المونادة عن طريق الحواس^(٤)، لأن الحواس لا تقدم لنا الجوهر نفسه، لأن المونادة بلا أجزاء ولا أشكال، بحيث لا يمكن تمييزها عن مونادة أخرى إلا عن طريق خصائصها وأفعالها الباطنة التي لا تخرج عن أن تكون هي إدراكاتها، ونزوعاتها^(٥) (التي هي مبادئ التغيير)^(٦). لذا يتحتم اختلاف كل مونادة عن الأخرى، واستحالة وجود كائنين متشابهين تماماً في الطبيعة، وذلك تبعاً

(١) ينظر: نازلي إسماعيل حسين، النقد في عصر التنوير - كنت -، دار النهضة العربية - القاهرة، ط ٢، بلا ت، ص ٧٧ - ٧٨.

(٢) ينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم - بيروت، بلا ط، بلا ت، ص ١٣٤.

(٣) ينظر: لايبنتز: المونادولوجيا، (تقديم الترجمة) ص ٤٧.

(٤) كما أننا لا ندرك المونادات كذلك نحن لا ندرك (العالم الحقيقي)، إذ العالم الذي ندركه والأجسام التي نميزها فيها لها امتداد وشكل ومكان وحركة. والعالم الأخير ليس عالم حقائق وإنما هو عالم ظواهر Phenomena، أو كما يصفه لايبنتز بالعالم المادي. (ينظر: علي عبد المعطي، لايبنتز، ص ٢٣٤).

(٥) الفعل الذي يصدر عن المبدأ الباطن ويسبب التغيير أو الانتقال من إدراك إلى آخر يسميه لايبنتز بالنزوع Appetition، فكل مونادة تشكل طاقة روحية تنزع نزوعاً عضوياً إلى التفتح في شكل إدراكات وصور ذهنية. (ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١٣٣ - ١٣٤).

(٦) لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١٠٢-١٠٣.

للاختلاف القائم على تلك الخصائص الباطنة^(١) وهذا هو المبدأ المعروف (بهبوية اللامتيازات).

والعالم ملاء كامل، أي "كل ما في الطبيعة ملاء"^(٢)، وفيها تنتشر المونادات المتميزة والمتباينة والمتغيرة، أما مبدأ تغيرها ففي ذاتها لا خارج عنها إذ يستحيل على علة خارجية أن تؤثر على داخلها. "وبجانب مبدأ التغير يجب أيضا أن يكون هناك طابع لما يتغير، بحيث يكون علة نوعية الجواهر البسيطة وتنوعها. هذا الطابع الخاص ينطوي بالضرورة على كثرة في الوحدة أو في البسيط. فلما كان كل تغيير طبيعي يتم بالتدرج، كان من الضروري أن تتغير بعض الأشياء ويبقى بعضها دون تغيير"^(٣). إذن القانون الذي يشير إليه الموناد هو الاستمرار بالتغير مع ملاحظة أن مضمون التغير يقتضي في كل جزء منه (أن يوجد عنصر دائم وعنصر متغير).

لذلك حينما أقر لايبنتز حقيقة الموناد المغلق على ذاته، أخذ يبحث عن كينونة يتعرف هذا الموناد بوساطتها على وجود غيره من المونادات المستقلة وعن حالاته استقلالا تاما، فكان (الله) أو الموناد الأعظم، على اعتبار أن الله وضع في كل موناد مبدأ التمثيل ((Representative Principle))^(٤) بحيث يكون كل موناد مرآة للوجود "فإن كل جوهر عبارة عن عالم برمته، وهو بمثابة مرآة لله أو مرآة الكون برمته"^(٥). وهكذا كان تشبيه الموناد بالمرآة وسيلة لايبنتز لإخراج الموناد من عزلته التامة مع المحافظة على استقلاله الذاتي واكتفائه بنفسه^(٦). وسيمثل ذلك التشبيه لديه التفسير (الميتافيزيقي والمنطقي) المكملين

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٠-١٣١.

(٤) ينظر: جلال صادق العظم، دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة، دار العودة - بيروت، ط ٣، ١٩٧٩، ص ١٢.

(٥) جورج فيلهلم لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ترجمة: الطاهر بن فيزة، مركز دراسات الوحدة العربية - المنظمة العربية للترجمة (بيروت)، ط ١، ٢٠٠٦، ص ١٢٢.

(٦) ينظر: جلال صادق العظم، المصدر السابق، ص ١٢.

للتفسير الديناميكي. لكن المونادات المنتشرة في العالم ليست كلها في درجة أو طائفة واحدة، فهناك:

١. النفس العاقلة أو الروح (Rational Soul) وهي أرقى المونادات.
٢. النفس الحيوانية وهي في درجة وسطى.
٣. النفس النباتية (Entelechy) وهي أدنى الدرجات^(١).

فالإدراكات تتباين وتدرج بين الوضوح والغموض بالنسبة لطوائف المونادات، فالأولى قد تكون أكثر وضوحاً وتحديداً، والثالثة عكس ذلك، في حين تتوسط الثانية الطائفتين المذكورتين من حيث الإدراك. "إذن ليست كل الكائنات أو المونادات المنتشرة في العالم تعرف، وليست هي في مستوى واحد بالنسبة لدرجة معرفتها، لذلك كانت الاختلافات في المعرفة بين مونادات وأخر أمر ضروري في فلسفة لايبنتز"^(٢). ضمن هذه النظرة إلى الكون، لا يمكن أن يكون لمشكلة الحقيقة إلا حل متفائل هو: "إن كل مونادات تنتزع في استمرار إلى الانتقال من إدراك مبهم إلى إدراك أوضح، ويسمى هذا المسعى عند الإنسان بالمعرفة... ولما كانت كل مونادات من صنع الله، فلا يمكن أن تكون سلسلة إدراكاتها خاطئة بالمعنى الحقيقي"^(٣).

والإنسان -أسوة بالكائنات الأخرى- مجموعة من المونادات تؤلف وحدة تقوم في "أن هناك مونادات رئيسية واحدة تعكس التغييرات الحاصلة في بقية المونادات على أوفى وجه وتكون روحاً (Spirit) لها القدرة على الإدراك، والوعي الذاتي، والتذكر، والتفكير. أما في الحيوانات والنباتات فلا تكون المونادات الرئيسية قادرة على الوعي الذاتي والتفكير، بل على الإدراك والتذكر وحسب"^(٤). وبما أن تلك المونادات متباينة، كان لا بد من وجود معيار أو مقياس لمدى وضوح إدراكاتها وتمايزها من جهة، ومدى اقتراب أدلتها المعرفية من الحقيقة من جهة أخرى. وهذا المعيار عند لايبنتز هو الترابط المنطقي. لذلك يقول: "تقوم معرفتنا

(١) ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا: ص ١٣٢، وأيضاً: ص ١٦٥.

(٢) علي عبد المعطي، لايبنتز: ٢٤٧-٢٤٨.

(٣) فرانسوا غريغوار، المشكلات الميتافيزيقية الكبرى، ترجمة: نهاد رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت، بلا ط، بلا ت، ص ٣٣-٣٤.

(٤) كريم مئى، الفلسفة الحديثة - عرض نقدي، منشورات جامعة بنغازي (كلية الآداب)، ١٩٧٤، ص ١٤٧-١٤٨.

العقلية على مبدأين كبيرين: مبدأ عدم التناقض^(١)، وبفضله نحكم على كل ما ينطوي على تناقض، وبالصدق على ما يضاد الكذب أو يناقضه. كما تقوم على مبدأ السبب الكافي^(٢)، وبه نسلم بأنه لا يمكن التثبت من صدق واقعة أو وجودها ولا التثبت من صحة عبارة بغير أن يكون ثمة سبب كاف يجعلها على هذا النحو دون غيره وإن تعذر علينا في أغلب الأحوال أن نتوصل إلى معرفة هذه الأسباب^(٣). ولذلك كان شكل الأقيسة المنطقية - برأي لايبنتز - متضمناً على فن العصمة من الخطأ، بشرط أن نعرفه وأن نحسن استخدامه. فهو نوع من الرياضة الكلية للذهن البشري^(٤). فالترابط المنطقي يقتضي أنه كلما ظهرت المونادة ازدياداً في وضوح الترابط في إدراكاتها، دل هذا الأمر دلالة مؤكدة أنها سائرة في طريق معرفة متزايدة الصحة^(٥).

والأحكام التي تعبر عن الترابط في نظام العالم، ويمكن استنباطها بعضها من بعض وفقاً لمبدأ السبب الكافي يسميها لايبنتز بأسم (حقائق الواقع)، أو حقائق فيزيائية أو حقائق

(١) يلعب قانون عدم التناقض دوراً هاماً في التفكير والمعرفة. وهو انعكاس في العقل للتحدد الكيفي للأشياء، ففضية عدم التناقض المنطقي تنطبق على منهج عرض المعرفة وتتضمن أن أفكارنا وبراهيننا ينبغي أن تكون متماسكة وخالية من التناقضات. (ينظر: الموسوعة الفلسفية، مجموعة من الباحثين السوفيت، إشراف: م. روزنتال، ب. يودين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: جورج طرابيشي، دار الطليعة - بيروت، ط ٩، ٢٠١١، ص ٢٩٤).

(٢) يعد لايبنتز أول من صاغ مبدأ السبب الكافي أو العلة الكافية - بالرغم من وروده في مذاهب منطقية سابقة-، وهو " مبدأ عام في المنطق بمقتضاه لا تعد القضية صادقة إلا إذا كان يمكن صياغة العلة الكافية بالنسبة لها. فالعلة الكافية قضية (أو مجموعة من القضايا) معروف أنها صادقة، منها يمكن اشتقاق النتيجة منطقياً. ويمكن التدليل على صحة العلة بالتجربة، أو يمكن اشتقاقها من صدق قضايا أخرى. وهذا المبدأ يميز ملمحاً جوهرياً للتفكير السليم منطقياً هو البرهان ". (الموسوعة الفلسفية، المصدر السابق، ص ٤٥٠).

(٣) لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١٤٣.

(٤) جورج فيلهلم لايبنتز، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تقديم وترجمة وتعليق د. أحمد فؤاد الأهواني، دار الثقافة للنشر والتوزيع - مصر، بلا ط، ١٩٨٣، ص ٢٩٥.

(٥) ينظر: فرانسوا غريغوار، المشكلات الميتافيزيقية الكبرى، ص ٣٤.

ممكنة^(١). لأن تلك الحقائق ليست ضرورية مطلقاً (كحقائق العقل) المستنبطة من العلاقات بين التصورات الممكنة والمستتدة على مبدأ عدم التناقض. لذلك لا يمكن العثور على السبب الكافي أو العلة الكافية لوجود العالم داخل سلسلة الأشياء الحادثة، لأن " السبب الكافي الذي لا يحتاج الى سبب آخر سواه، يجب أن يقع خارج سلسلة الأشياء الحادثة وأن يوجد في جوهر يكون علة هذه السلسلة، كما يكون كائناً ضرورياً يحمل في ذاته سبب وجوده... وهذا السبب الأخير للأشياء هو (الله)^(٢)، والمبدأ الذي يعمل الله بمقتضاه هو (مبدأ الأحسن)، أو مبدأ الملائمة، وصورة هذا المبدأ في عقلنا هي مبدأ العلة الكافية الذي يعد الأساس في أحكامنا الصادرة عن العقل قبلياً على الوقائع^(٣).

المبحث الأول/ البناء المنهجي لنظرية المعرفة عند لايبنتز:

أولاً/ مصادر المعرفة ودرجاتها:

أ- مصادر المعرفة: يتطرق لايبنتز في كتابه (أبحاث جديدة في الفهم الإنساني ١٧٠١-١٧٠٩)^(٤) إلى أن هناك مصادر ودرجات تتميز بها المعرفة، أما بالنسبة للمصادر فهي ثلاثة، والتي تمثل: العقل، والإيمان، والحماس أو الإلهام.

ينظر لايبنتز للعقل بأنه (الحقيقة المعروفة)، وهو يمكن أن يسمى عقلاً لكونه علة لأحكامنا وعلة الحقيقة نفسها، لذلك كانت الرابطة بين الحقائق وملكة التفكير هي أيضاً عقلاً^(٥). وسنلاحظ تأثير هذه النظرة للعقل على تفسيره لحقيقة المعرفة الحسية، فضلاً عن تداخل تلك الملكة بالحدس والاستدلال والرياضيات^(٦).

(١) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، منشورات ذوي القربى - إيران، بلاط، ٢٠٠٩، ج ٢، ص ٣٩٢.

(٢) لايبنتز: المونادولوجيا، ص ١١٢.

(٣) ينظر: موسوعة الفلسفة، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٩٢.

(٤) يعد هذا الكتاب من أهم أعمال لايبنتز، إذ يعرض فيها مناقشته لنظرية جون لوك في المعرفة وفكرة الروح وأصل المعرفة وصلتها بالأفكار الفطرية.

(٥) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

(٦) تتقوم المعرفة الرياضية - كعلم - قبلياً. فالعقل في الرياضيات يستمد مواده من ذاته. وهذه المواد هي رموز يضعها هو، لذلك فالعلم الرياضي يتسم بالمعقولية التامة وهو من عمل العقل التلقائي. (نازلي إسماعيل حسين، النقد، ص ٧٦).

أما بالنسبة للاعتقاد، أو الإيمان، فيجب فيه " أن نميز بين الوحي الأصيل والتقليدي، الأول انطباع يضعه الله مباشرة في الذهن ولا يمكن تثبيت حدوده. والآخر لا يأتي إلا بالطرق العادية للاتصال ولا يمكنه أن يعطي أفكاراً جديدة بسيطة^(١). " فالاعتقادات لن تكون اختيارية إلا بطريقة غير مباشرة^(٢). وهذا المصدر يتداخل مع درجات المعرفة، وتحديدًا مع الحدس^(٣) والمعرفة الاحتمالية. والإيمان هو الذي مهد للايانتز الحديث عن الإلهام أو (الحماس الديني)، فمما لا شك فيه هو وجوب التمييز بين ما يحسن قوله، وما هو جدير بأن نعتده، ومع أن معظم الحقائق يمكن أن نقتبلها بحماس، إلا أن هناك حكم مسبق ضد اعتقاد يجب إخفائه^(٤).

فالتخيال لا يمكن أن يكون مرشداً ومصدراً للوحي " والحماسة تعني أن فينا شيء قدسي"^(٥)، وإن هذا النوع من الحماس الديني القائم على الخيال الخصب لدى بعض الأشخاص تلزم المعجزات التي تدعم دعواهم حتى تؤمن بهم. لذلك يقول لايبنتز: " لا أعتقد مطلقاً أن نسمح بسهولة لأنفسنا بأن نستخدم الخداع من أجل غاية طيبة. أما عقائد الدين فلا تحتاج مطلقاً لتجليات جديدة وكفي أن نقترح قواعد ملائمة نضطر إلى إتباعها دون أن يقدم الذي يقترحها أي معجزة"^(٦). وإذا كان (المتمسكون) يعتقدون بأنهم يتقبلون من الله آراء

(١) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٣١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(٣) الوحي مباشر وأصيل بنظر لايبنتز، إلا أنه يجب أن لا نخطئ مطلقاً بنسبته إلى الله، وأن نفهم معناه، ولا يمكن أبداً أن يكون هذا الوضوح أكبر من ذلك الخاص بمعرفتنا الحدسية، وبالتالي يجب أن لا نسلم بأي قضية باعتبارها وحياً إلهياً إذا ما تناقضت مع هذه المعرفة المباشرة، وإلا فلن يبقى أي اختلاف في العالم بين الحق والباطل، ولا أي مقياس بين الاعتقاد وعدم الاعتقاد. ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٣١٩.

(٤) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٣١١ - ٣١٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣١.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٣٥.

قضى لهم، وأن لديهم نورا معيناً يعرف بنفسه، فيجب -برأي لايبنتز- أن لا نسمي نورا^(١) ذلك الذي لا يجعلنا أن نرى أي شيء^(٢).

ب - درجات المعرفة: تتدرج المعرفة عند لايبنتز وفقاً لمدى تعلقها باليقين وقدرتها على بلوغ الحقائق. فكانت تلك الدرجات هي المعرفة الحدسية، والمعرفة الاستدلالية، والمعرفة الاحتمالية، والمعرفة الحسية.

المعرفة الحدسية هي: " التي تعتمد على الإدراك المباشر لاتفاق فكرتين دون تدخل أية فكرة أخرى وهي الأوضح والأكثر يقيناً وتمدنا بالحقائق الأولية سواء منها الضرورية أو العرضية"^(٣). وهذا الصنف من المعرفة سيحدد نظرة لايبنتز إلى حقائق العقل (الضرورية) وحقائق الواقع (العرضية). وتأتي بعد المعرفة الحدسية المعرفة الاستدلالية، وهي ليست سوى تسلسل للمعرفة الحدسية، وهي أقل منها وضوحاً، وتحتاج إلى التحليل والتركيب وتقسيم الصعوبات واستدلال القضايا المتداخلة^(٤). أما بالنسبة للمعرفة الاحتمالية فيبدو أن لايبنتز أراد إدخالها كجزء من المعرفة الاستدلالية، بدليل قوله: " عندما كان كوبرنيك الوحيد في اعتقاده - الذي كان دائماً الأكثر احتمالاً من اعتقاد باقي البشر -، إلا أنني لا أعرف هل تقرير فن اعتبار الاحتمال لن يكون مجدياً إلا كجزء من معرفتنا الاستدلالية، وقد فكرت في هذا أكثر من مرة"^(٥). لذلك كان من الضروري الاعتناء بالمعرفة الاحتمالية التي أهملها المناطقة^(٦). على هذا النحو يوجد نوعان من المعرفة، كما يوجد نوعان من البراهين، أحدهما

(١) يضرب في ذلك مثالا عن نقده لباركلي، ويرى أننا نستطيع التثبت مما يقوله القديسون - الذين

يتقبلون الوحي من الله مباشرة - بالعلامات الخارجية والمعجزات التي تدعم النور الداخلي. (ينظر:

لايبنتز، أبحاث جديدة، العرض التحليلي، ص ١٢٢).

(٢) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٣٣٢.

(٣) المصدر نفسه، العرض التحليلي، ص ٩٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٤٥-١٤٦.

(٥) المصدر نفسه: ١٥٢.

(٦) يؤكد لايبنتز على أهمية الاعتناء بالمنطقة الوسطى التي تفصل الحقيقة عن الخطأ، وهي منطقة

المحتمل. فالاحتمال موضوع علم ودراسة، تكمن أهميته أولاً على الصعيد المنطقي حيث من

الضروري وضع (منطق احتمال) يتناول القضايا الاحتمالية الواردة في المنطق. (ينظر: لايبنتز،

مقالة في الميتافيزيقا، هامش ص ١٧٨). " فالاعتقاد القائم على الغريب من الحق (المحتمل) ربما

ينتج عن اليقين والآخر لن يؤدي إلا إلى الاحتمال، وذلك هو الاختلاف الذي يثيره الشكك أمام الاعتقاديين بالنسبة لوجود الأشياء خارج أنفسنا^(١).

لذلك كانت الدرجة الرابعة من درجات المعرفة الإنسانية متعلقة بالوجود الخارجي، المعرفة الحسية أو التجربة، والتي كلما أعطينا صفات الأشياء وخواص الطبيعة بدت لنا أكثر معقولة. ولكننا في (التجربة) لا نعرف الأشياء إلا من الخارج^(٢). فالمعرفة الحسية هي التي تقر وجود الأشياء خارج الذات، لذلك كان من الضروري التمييز بين المعرفة الحسية والأحلام^(٣).

ثانياً/ حقائق العقل وحقائق الواقع:

يقسم لايبنتز القضايا من جهة (المعرفة والوجود) إلى ثلاثة قضايا هي^(٤):

١. قضايا الواقع / وتعلق بالملاحظة، وهي عامة لكنها غير ضرورية.
٢. قضايا العقل / أو القضايا العامة للعقل، وهي قضايا محتملة في حال إمكان فكرة وإيجاد ما يعكسها ببحث أكثر دقة.
٣. قضايا مختلطة / وهي مشتقة من المقدمتين، أي (ملاحظات وقائع)، (وقضايا العقل الضرورية)، ولكن -منطقياً- ليست هذه القضايا أكثر يقيناً ولا أكثر عمومية من تلك المقدمتين.

هناك إذن نوعان من الحقائق: حقائق العقل وحقائق الواقع: "حقائق العقل ضرورية وعكسها مستحيل، وحقائق الواقع عرضية، وعكسها ممكن. فإذا كانت إحدى الحقائق

يستحق اسم (المعرفة)، وإلا سقطت معظم المعارف التاريخية وكثير غيرها... لأنه عندما لا نستطيع التقرير المطلق للسؤال يمكننا دائماً تحديد درجة الاحتمال وبالتالي يمكن الحكم حكماً معقولاً أي الأجزاء أكثر ظهوراً". (لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ١٥٢).

(١) ينظر: لايبنتز، المصدر السابق، ص ١٥٣.

(٢) ينظر: نازلي إسماعيل حسين، النقد، ص ٧٥-٧٦.

(٣) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة - العرض التحليلي، ص ٩٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٥١-٢٥٢.

ضرورية أمكن عن طريق التحليل أن نجد سببها، وذلك بتحليلها إلى أفكار وحقائق أبسط^(١)، إلى أن نصل إلى الحقائق الأصلية^(٢). لذلك يرى لايبنتز أن التكوين الداخلي لبعض الأجسام لا يمكن معرفتها حسيّاً، ما دامت هي خاضعة لأسباب معقولة كما هو الأمر بالنسبة للتحليل الحاصل للأخضر إلى أزرق وأخضر^(٣) فالتحليل هنا عقلي لا تجريبي.

كذلك يؤكد لايبنتز أن العنصر الحسي الذي تنطوي عليه (المتعة الفنية) هو في نهاية التحليل عنصر عقلي، ويتضح ذلك من قوله: "إن الموسيقى تسحر أفئدتنا، وإن كان جمالها لا يقوم إلا على تناسب الأعداد والعد الذي لا نشعر به شعوراً واعياً، ومع ذلك فإن النفس تقدره على أساس الضربات والذبذبات المنبعثة من الأجسام الرنانة التي تتلاقى في فواصل زمنية معينة. والبهجة التي تجدها العين في النسب هي من نفس هذا النوع، كما أن مباحج الحواس الأخرى ترجع إلى أمور مشابهة، وإن كنا لا نمتلك أن نفسرها تفسيراً واضحاً"^(٤). ويتضح مما تقدم أفضلية العقل على الحواس، أو أسبقية العقل على المادة عند لايبنتز "لأن ما يبدو لنا مادة ليس هو في الحقيقة إلا مجموعة من العقول الأولية كثرت أم قلت"^(٥). والفكرة هنا تتعلق بما هو ظاهر (أي المادة)، وما هو حقيقي (أي العقل).

كذلك فإن الطابع العقلي - عند لايبنتز - يغلب على علم الطبيعة^(٦)، لأنه بالإمكان بقليل من الافتراضات المدعمة بالتجارب أن نثبت قدراً معيناً من الظواهر التي تحدث منقطة مع ما

(١) يقابل التحليل عند لايبنتز البصيرة الطبيعية أو المكتسبة بالخبرة وذلك فن، والتحليل هو الفن الآخر لإيجاد الأفكار الوسطية (Idea Medium) أو القضايا الأولية. فكل الحقائق الأولية للعقل تكون مباشرة، كمباشرة الأفكار، ذلك أن تلك الحقائق تعرف بالحدس. (ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ١٤٥-١٤٦).

(٢) لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١٤٤.

(٣) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ١٩٤.

(٤) لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١١٩ - ١٢٠.

(٥) برتراند رسل، مشاكل الفلسفة، ترجمة: عبد العزيز البسام ومحمود إبراهيم أحمد، مكتبة نهضة مصر، ط ٢، ١٩٤٧، ص ٨.

(٦) المبدأ الذي يقرر أن (كل شيء يتم ألياً في الطبيعة) هو برأي لايبنتز مبدأ يمكن أن نتأكد منه بالعقل وحده، وليس بالتجارب مطلقاً أياً كان عددها. ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٢٦٣.

يقرره العقل^(١). وهكذا، إذا تعلق العقل بالموناد، كان حديث لايبنتز عن (النفوس العاقلة)، من حيث أن هذه النفوس "قادرة على التأمل قدرتها على ملاحظة ما يسمى بالأنا، والجوهر والنفوس، والعقل... أي (الحقائق اللامادية). وهذا هو الذي يمكننا من تحصيل العلوم والمعرف البرهانية"^(٢). أما إذا كان الحديث عن هذه العلوم والمعارف (منطقياً)، لاقتضى ذلك: التمييز بين الإمكان والواقع، لأن الممكن هو "التصور الخالي من التناقض، والعلاقات بين التصورات الممكنة تتحدد بمبدأ أو قانون عدم التناقض، ويعبر عنها بأحكام ضرورية مطلقة هي (حقائق العقل)، والرياضيات والميتافيزيقا والمنطق والأخلاق حافلة بهذا النوع من الحقائق"^(٣).

لذلك كانت إجابة لايبنتز عن السؤال حول المنهج اللازم للوصول إلى اليقين هو: أن مبدأ المبادئ وأساس المعرفة الحقيقية هو حسن استخدام الأفكار والتجارب اعتماداً على التعريفات والبدهييات، أي لا بد من منهج يقوم على فن الاكتشاف والحصول على الأدلة وتوضيح الأفكار المتوسطة وتنظيمها، ويعتمد هذا المنهج على أساسين رئيسيين:

١. البدء بالبدهييات والتعريفات صعوداً إلى إثبات الحقائق^(٤).
٢. الاعتماد على (التجربة التي تفسر الظواهر)^(٥)، وتساعد على التنبؤ في مجال الممارسة سواء بالعقل أو بالتجربة^(٦). ولكن هذا السعي للوصول إلى اليقين يتطلب الوقوف على إمكانية المعرفة وحدودها.

ثالثاً/ حدود المعرفة:

-
- (١) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٢٦١.
 - (٢) لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١٠٨ - ١٠٩.
 - (٣) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج ٢، ص ٣٩١.
 - (٤) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٢٥٦ - ٢٥٨.
 - (٥) يشير لايبنتز في هذا المجال إلى ما حققه بيكون في صياغة القواعد التي طبقت فيما بعد في مجال العلوم الطبيعية. كما يشير إلى ما حققه كل من (ديكارت) و(اسبينوزا) اعتماداً على المبدأ الذي يقرر: "إن كل شيء يتم في الطبيعة آلياً". (ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٢٦٢-٢٦٣).
 - (٦) ينظر: لايبنتز، المصدر السابق، ص ٢٦١.

بما أن هناك مصادر للمعرفة عند لايبنتز، ومراتب لها، فالمعرفة ممكنة، ولا يمكن الشك فيها أو الوقوف منها موقفاً لا أدرياً. "إذ لا يمكن أن نمتلك أي فكرة عن تصور إذا كانت المعرفة افتراضية Sup positive فحسب، فالمعرفة ممكنة"^(١) لكن معرفتنا محدودة لأسباب عديدة، منها^(٢):

١. (محدودية معرفتنا قياساً بوفرة أفكارنا)، فنحن لا نستطيع الإلمام بكل ما نرغب في معرفته، فضلاً عن ما لدينا من أفكار مختلطة لا نعرفها معرفة كاملة.
٢. ضرورة الاكتفاء بالاحتمال و الإيمان في معرفة الأمور التي لا تحتاج إلى أدلة فلسفية أو معجزات مثل (خلود الروح) و (الدين).
٣. حقيقة صلة الفكر بالمادة، وصعوبة معرفة الأفكار التي هي من إنتاج الروح لا الجسم المادي. فضلاً عن وجود أسباب للجهل والخطأ.
٤. اقتصار معرفتنا على (الروابط) بين الأفكار والظواهر، نظراً لظهور أفكار غامضة ومختلطة ناتجة عن الصفات الحسية والاعتماد على التجربة.
٥. اقتصار معرفتنا على - الظاهر - أحياناً.

لكن إرادة تحديد المعرفة عند لايبنتز لا تتطلب من الإنسان أن يمتلك هذا الإحساس أو ذاك في الحالة الحاضرة، ولكنها تتطلب منه أن يستعد للحصول عليها أو لعدم الحصول عليها^(٣) " فنحن لن نصل أبعد مما نتمنى... لأن ما لدينا من تجارب عديدة يمكن أن تمدنا بالمعطيات التي تفوق الكفاية بحيث لا ينقصنا سوى فن استخدامها"^(٤). بيد أن هذا لا يعني أننا عاجزون عن الاهتمام إلى معرفة أي شيء معرفة حقة. فأقصى ما ينشده لايبنتز هو: وضع حدود لما بوسعنا أن نعرفه عن الطبائع الجزئية للموجودات وأنماط الموجودات وحقائقها المنتزعة من الواقع فحسب^(٥).

(١) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة - العرض التحليلي، ص ١٠٠-١٠١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٤.

(٥) ينظر: ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، ترجمة: أحمد حمدي محمد، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، بلا ط، ١٩٩٧، ص ٦٢.

وأول ما يعترضنا في المعرفة ويدعونا إلى التسليم بحدودها هو رغبتنا في معرفة أفكار ليست باستطاعتنا أو إمكاننا، إذ " أحياناً يحدث للبشر أن يبحثوا عن وأن يخلقوا صعوبات حيث لا توجد صعوبات بأن يطلبوا ما لا يستطيع، وأن يشتكوا بعد ذلك بعدم قدرتهم وبمعرفتهم المحدودة"^(١). كذلك فإن معرفتنا لعالم (المادة) لا يعني معرفتنا لعالم (الروح)، لأن " المادة لن تستطيع إنتاج اللذة والألم أو الإحساس في أنفسنا، إنها الروح هي التي تنتجها بنفسها، اتفاقاً مع ما يحدث في المادة"^(٢). وبما أن المونادات - المكونة للأجسام - جميعاً لا مادية، فإن تصورنا للعالم الخارجي لا يمكن أن يكون إلا ظاهرياً (أي مجموعة ظواهر)^(٣).

من هنا كانت الروابط هي المجال الأوسع لمعارفنا^(٤) لأن الارتباط بين (الروح والجسد) الذي تنقصنا معرفته في الأفكار يعود إلى أن " التأثيرات الآلية للأجسام ليس لها أي ارتباط بأفكار الألوان، الأصوات، الروائح، الأذواق، اللذة، الألم. وأن ارتباطها لا يعتمد إلا على الرغبة الطيبة وإرادة الله الحرة... فنحن لدينا كل الأفكار الواضحة واللازمة لمعرفة الأجسام، وليس لدينا التفصيل الكافي للوقائع، ولا الحواس النافذة التي توضح الأفكار الغامضة أو الممتدة بحيث ندركها كلها"^(٥). ولا يبنتر يجمل نوع الاتفاق بين الأفكار في نوعين فقط هما: المقارنة، (التي تعطي الاختلاف أو التطابق)، والموازرة في (دعم الذاكرة بعملية التدوين). "إذ لا يمكن أن نتعلم شيء ليس لنا عنه بعد في نفوسنا فكرة، هي بمثابة المادة التي تمثل تلك الفكرة صورتها"^(٦). وذلك يتعلق بنظرية التذكر التي يعود بها لايبنتر إلى أفلاطون. لذلك كان من الصعب تقرير العلوم بدون كتابة، ما دامت الذاكرة لن تكون متأكدة بما فيه الكفاية، وليست بالشيء الذي يعتمد على إرادتنا^(٧). "فالذاكرة تمد النفوس بنوع من

(١) لايبنتر، أبحاث جديدة، ص ١٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٥.

(٣) ينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ١٣٣.

(٤) ينظر: لايبنتر، أبحاث جديدة، ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٧٥.

(٦) لايبنتر، مقالة في الميتافيزيقا، ص ١٨٠.

(٧) ينظر: لايبنتر، أبحاث جديدة، ص ١٣٥ - ١٣٦.

الاستنتاج الذي يحاكي العقل، وإن وجب تمييزه^(١) عنه^(٢). فمن الملاحظ فعلاً أن ذاكرتنا تخدعنا أحياناً. حتى أن صور الأحلام من الغموض بحيث لا نملك الحرية في ردها إلى غيرها فيما بعد^(٣).

المبحث الثاني/ الجذور الميتافيزيقية لنظرية المعرفة عند لايبنتز: أولاً/ صلة المعرفة بالوجود:

ينتقل لايبنتز من دائرة الفكر إلى دائرة الوجود (حاله كحال ديكرت)، وهذا ربط بين الأبنستولوجيا والأنطولوجيا^(٤) أي بين نظرية المعرفة ومبحث الوجود، وذلك يعني أن تفكير لايبنتز يسير بمستويين معرفيين:

١. مستوى الحقيقة الميتافيزيقية المطلقة (عالم الموندات)، ويخضع لقانون العلة الغائية.
 ٢. مستوى الظواهر الطبيعية والأجسام المادية، ويخضع لقانون العلة الفاعلة^(٥).
- والحقيقة أن فلسفة لايبنتز ترد (عالم الظواهر) والحس إلى (عالم الموندات)، وتصف بأن وجود الأول ناتج عن الثاني^(٦). وهذا الفصل بين عالم الظواهر المحسوسة وعالم الحقيقة الميتافيزيقية هو تقليد فلسفي قديم عند الفلاسفة العقلانيين منذ بارمنيدس.
- لهذا فإن لايبنتز لم يتوقف كثيراً عند العالم الأول، لأن تركيزه الفلسفي كان على فكرة الحدس العقلي والبصيرة من جهة، والمعتمدة على (منهج ذوقي وحدوس باطنية داخلية)، كذلك على المنهج الاستدلالي الذي يقوم على (الاستنباط والاستنتاج) من جهة أخرى.

(١) على اعتبار أن الاستنتاج تجريبي، وأن ما يحاكي العقل يجب أن يكون استدلالياً عقلياً نظرياً، وإلا لم يوجد فرق بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان الذي لا تتم استنتاجاته من إدراكاته إلا عن طريق مبدأ (الذاكرة). ينظر: لايبنتز، الموندولوجيا، ص ١٤٠.

(٢) لايبنتز، الموندولوجيا، ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٣) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٢٥٠.

(٤) هذا ما أكده لايبنتز في رسالته إلى فوشيه. (ينظر: علي عبد المعطي، لايبنتز، ص ٢٦١).

(٥) ينظر: أيوب أبو دية، العلم والفلسفة الأوربية الحديثة من كوبرنيق إلى هيوم، دار الفارابي - بيروت، ط ١، ٢٠٠٩، ص ١٨٥.

(٦) ينظر: جلال صادق العظم، دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة، ص ٩.

فالبحث عن صلة الفكر بالوجود عند لايبنتز يتطلب التساؤل المتضمن: إلى أي نوع من المعرفتين يميل لايبنتز، المعرفة الحدسية، أم المنهج الاستدلالي؟.

يتفق لايبنتز مع لوك في أننا نعرف وجودنا بالحدس، ومعرفة الله بالاستدلال، والأشياء الأخرى بالإحساس، وإن الحدس الذي يجعلنا أن نعرف وجودنا هو واضح تام لا يمكن الشك فيه، ويضيف: أن الإدراك المباشر لوجودنا ولأفكارنا يمدنا بالحقائق الأولية البعدية أو الخاصة بالواقع، أي التجارب الأولى وكذلك القضايا المتطابقة التي تشمل الحقائق الأولية القبلية^(١).

لكن لايبنتز - رغم تأييده للأفكار الفطرية- يعترض على استدلالات ديكارت لفكرة الوجود من فكرة الله، ولا يعتقد بأن تكون تلك الاستدلالات كاملة، إذ يقول: "كيف ينتج الوجود عن هذه الفكرة، أن يوجد شيء أكثر من أن لا يوجد أو الوجود يضيف درجة على العظمة أو الكمال، أو كما يعلن ديكارت الوجود هو نفسه الكمال"^(٢).

وصحيح أن الجواهر المخلوقة تابعة لله الذي يحفظها، وينتجها باستمرار بضرب من الفيض مثلما تنتج أفكارنا عنا^(٣). لكننا ذوات معرضة للخطأ إذا أردنا تحديد غايات الله أو وصاياه ومراميه، فذلك يحصل حين نعتقد أن الله لم يخلق هذا العالم إلا لأجلنا^(٤). " فإله وحده هو الذي يملك المعرفة الواضحة بكل شيء. وقد قيل بحق أن مركزه يقع في كل مكان، أما محيط دائرته فليس موجوداً في أي مكان، إذ أن كل شيء حاضر بالنسبة إليه حضوراً مباشراً، دون أدنى بعد عن هذا المركز"^(٥).

والله وحده يتميز بأنه لا يحصل إلا على المعارف الحدسية، ويجب دائماً معرفة أن هناك حقائق لا حصر لها تخفى على (نفوسنا) إما تماماً أو لفترة من الزمن، إذا ما أردنا الوصول إلى تلك الحقائق بقوة النتائج وبالاستدلال، وأحياناً بالتخمين^(٦). وسيكون "الفريق

(١) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٩.

(٣) ينظر: لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص ١٤٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٥٨-١٥٩.

(٥) لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١١٦.

(٦) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٣٠٩-٣١٠.

الأكثر حكمة هو الذي يحسم برأي في الأمور المعروفة معرفة قليلة، وأن يقنع بأن يحكم بوجه عام أن الله لا يمكن أن يعمل شيئاً لا يكون مليئاً بالخير والعدالة"^(١).

فلايبنتز يرى بأن خيرية فعل الله تبرز في النظام الذي خلقه في العالم، لذا فإن "الله لا يخلق شيئاً خارج النظام... مع أن درجات فهمنا له تختلف وتتغير بحسب إدراكنا النظام الذي اختاره الله لتسيير العالم"^(٢). لذلك فإن كل موناة متناهية تصنع قراراتها بين البدائل الممكنة المنبسطة أمامها، فتختار ما تعتقد أنه الأفضل، ومع ذلك فإنه حتى الأرواح تختار ما هو سيء، لأن إدراكاتها تكون غامضة مختلطة. والله وحده هو الذي يختار دائماً أفضل الممكن^(٣). لكن هناك - باستمرار - علة كافية^(٤) لكل فعل وكل تجربة في حياة كل موناة.

ففي الله تكمن: ١- القوة (التي هي مصدر كل شيء)، ٢- المعرفة^(٥) (التي تحتوي على الأفكار المتنوعة)، ٣- الإرادة (التي هي علة التغييرات أو الإبداعات التي تتم وفقاً لمبدأ الأصلح). وهذا هو الذي يطابق الموضوع أو الأساس، وملكة الإدراك وملكة النزوع لدى المونادات المخلوقة^(٦). لكن إذا كانت هذه الصفات في الله لا متناهية أو كاملة بصورة مطلقة، فهي في المونادات المخلوقة مجرد تقليدات لهذه الصفات.

وهكذا لا يوجد ما يؤثر فينا من الخارج سوى الله، وكأننا هنا بإزاء التعبير الأفلاطوني عن (واهب الصور)، من دون أن يمنعنا ذلك من التفكير بأفكارنا الخاصة لأن "الله وحده موضوعنا المباشر الخارج عنا، وإنما نرى كل شيء من خلاله. فحين نرى الشمس والكواكب، فالله هو الذي (وهب لنا) فكرة هذه الشمس وهذه الكواكب، وهو الذي يحفظ لنا هذه الأفكار

(١) المصدر نفسه، ص ٣٢٥.

(٢) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص ١٠٧.

(٣) ينظر: وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: د. محمود سيد أحمد، تقديم ومراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام، التنوير للطباعة والنشر - بيروت، ط ١، ٢٠١٠، ص ١٤٣.

(٤) العلة الكافية عند لايبنتز تمثل المستوى الميتافيزيقي من حيث المبدأ القائل: "ما من شيء يتم وقوعه بغير أن يكون في إمكان من يعرف الأشياء معرفة كافية أن يقدم سبباً يكفي لتحديد علة وقوعه على هذا النحو لا على نحو آخر". (لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١١١).

(٥) يقول لايبنتز: "إن أساس الحب الذي ندين به لله أكثر من كل شيء، هو في رأيي معرفتنا العامة لهذه الحقيقة الكبرى". (لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص ٩٦-٩٧).

(٦) ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١٥٢-١٥٣.

ويدفعنا إلى أن نفكر فيها بالفعل... فإله هو النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان قادم إلى هذه الحياة" (١).

ثانياً/ مبدأ الانسجام المسبق:

على الرغم من دخول قواعد المنهج الديكارتي في صلب مشروع لايبنتز المعرفي من حيث وضوح الأفكار وتميزها، إلا أن فلسفته لا تقوم على استخدام العقل السليم ضمن تلك القواعد، إنما هي قائمة على مبدأ الانسجام الأزلي (المسبق) (٢). لأن نقد لايبنتز لحل ديكارت وتلاميذه لمشكلة إتحاد النفس بالجسم، هي التي قادت إلى فرضية الانسجام المسبق (٣).

والحقيقة أن مبدأ التناغم أو الانسجام (Harmony) هو مبدأ ابستمولوجي من حيث أنه تنوع مختصر في الوحدة، كذلك هو مبدأ انطولوجي من حيث أن معنى أن (توجد) ليس شيئاً آخر غير أن نكون (منسجمين)، لذلك "ينبغي ألا نشك في أن سعادة النفوس هدف الله الرئيسي وأنه لا ينجزها إلا بقدر ما يسمح به التناغم العام" (٤). بمعنى أن الإتحاد بين نفس الإنسان وبدنه يقوم على مبدأ (التوافق المسبق)، وأن علة ذلك التوافق هو الله الذي خلق هذه الفكرة وجعلها (لا علمية حتمية)، وإنما (علمية اعتبارية) تضع في الذهن ما يجب أن يحدث لكل موانع ممكن بسبب ما فيه من قوة وبسبب توا فقه مع التغييرات الأخرى (٥).

لذلك يقول لايبنتز: "بالرغم من القضاء على مشكلة إتحاد الروح بالجسد في نظري. ما زال هناك بقية، لقد أظهرت بعدياً بالانسجام الأزلي أن كل الوحدات الحقيقية قد استمدت

(١) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص ١٨٣.

(٢) ينظر: أيوب أبو دية، العلم والفلسفة الأوروبية الحديثة، ص ١٨٥.

(٣) جنيفاف روديس لويس، ديكارت والعقلانية، ترجمة: عبده الحلو، منشورات عويدات بيروت - باريس،

ط ٤، ١٩٨٨، ص ١١٣ - ١١٤.

(٤) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص ١٠٤-١٠٥.

(٥) ينظر، علي عبد المعطي، لايبنتز، ص ٢٣٥.

أصلها من الله وتعتمد عليه. ومع ذلك لا أحد يستطيع فهم الكيفية التفصيلية، وفي الأصل الاحتفاظ بها ليس سوى خلقاً مستمراً كما عرف المدرسيون بوضوح تام^(١).

وعلى هذا، فإن دليل لايبنتز ميتافيزيقي حينما يجعل كل وحدة عنصرية تعبر بطريقتها الخاصة عما يحدث خارجها ولا يمكنها أن تؤثر على الكائنات الأخرى إلا بسبب داخلي يعتمد على الكلية التي تجعلها في تناسق مع غيرها. "فليست المادة هي (الوحدة العنصرية)، لأنها تستمد إيجابيتها وسلبيتها من علة أسمى وأعم، حتى يتسنى لها أن تحقق التناسق والجمال السائد في الطبيعة"^(٢). فالطبيعة - عند لايبنتز - تتراءى ككيان روحاني، تظهر كثافته النسبية الطابع المحدود الذي يتصف به كل شعور، ولكنها تعبر في نفس الوقت عن الفكر المطلق بما يكتشفه شعورنا فيها شيئاً فشيئاً من نظام لا سبيل إلى إنكاره^(٣). "لأن تأمل الأعمال يمكن من كشف الصانع. وجب أن تحمل تلك الأعمال بصمته في ذاتها"^(٤). والفكر وجدانات فردية متعددة تنزع إلى الوحدة، والوجدانات لها نزعة ورغبة في تجاوز حدود الذاتية والإسهام في سلطان روحي وشامل هو (الله).

ثالثاً/ الحقائق الأزلية (صلة العقل بالإيمان):

يشير لايبنتز في كتابه (مقالة في الميتافيزيقا ١٦٨٦) إلى وسيلتين للارتقاء إلى الله: الأولى عن طريق ملكة الفهم^(٥)، والثانية عن طريق الإرادة^(٦). إذ لا شيء يمكن أن يدخل الغبطة إلى نفوسنا إلا بتووير الذهن وخضوع الإرادة له، وأن نبحت عن هذا النور في معرفة الأشياء التي تسمو بالذهن إلى أعلى^(٧).

(١) لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٢٤٦.

(٢) المصدر نفسه - العرض التحليلي، ص ١١٢-١١٣.

(٣) ينظر: فرانسو غريغوار، المشكلات الميتافيزيقية الكبرى، ص ٥٩.

(٤) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص ٨٩.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٧٠-١٧١، وأيضاً: ص ١٨٥-١٨٦.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٨٧-١٨٨، وأيضاً: ص ١٩١-١٩٢.

(٧) ينظر: نازلي اسماعيل حسين، النقد، ص ٢٤.

لذلك كان من الضروري التمييز بين الوحي الأصلي والوحي التقليدي: الأول يصنعه الله مباشرة في العقل^(١) ولا يمكن أن يخطئ، والثاني يأتي بالطرق العادية للاتصال ولا يعطي أفكاراً جديدة بسيطة، ولهذا لن نسلم بأي قضية باعتبارها (وحيًا إلهيًا) إذا ما تناقضت مع المعرفة المباشرة^(٢)، إذن "لا بد من استخدام العقل عند مناقشة الإيمان"^(٣). لأن حقائق العقل وحدها يقينية وأبدية، وبفضلها تكون القضايا أكيدة ويقينية في كل علم أصيل مثل الرياضيات الصرفة والمنطق والميتافيزيقا^(٤) وهي قضايا أو مبادئ نعرفها بصورة حدسية أو عن طريق البرهان بواسطة مبدأ الهوية ومبدأ التناقض^(٥).

ولايينتر يعزو كمال الكائنات إلى وجه الشبه بينها وبين الله بنوع من المشاركة. وهي مشاركة في المعرفة والحكمة^(٦) والإرادة والحرية، وذلك واضح في وصفه الخالق بقوله: " هو ماهر يحقق غاياته بأيسر السبل التي يمكن اختيارها، وهو شبيه بعالم مبدع يختزل أكثر ما يمكن من وقائع في أصغر ما يستطيع من حجم. والحال أن أكمل الكائنات التي تستغل أقل حيز ممكن بمعنى الأقل تضائفاً من بعضها البعض، هي العقول التي يتمثل اكتمالها في الفضائل"^(٧).

(١) يقول ليينتر: " أولئك الذين لا يحصلون على الوحي إلا بوسيط، أو لنقل من فم إلى فم، أو بالكتابة في حاجة أكثر للعقل ليتأكدوا منه ". (ليينتر، أبحاث جديدة، ص ٣١٩).

(٢) ينظر: ليينتر، أبحاث جديدة - العرض التحليلي، ص ١٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣١٨.

(٤) ينظر: بلولة مصطفى، بحث (ليينتر ديكرتياً)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد ٨، ٢٠١٢، ص ١٢١.

(٥) مبدأ الهوية (أي: أ هي أ) يمكننا من أن نعرف هوية الموضوع والمحمول لحكم منطقي، أما مبدأ التناقض فيؤكد لنا أنه من المستحيل أن يكون هناك حكمان يطرد الواحد منهما الآخر بالتبادل مثل (أ هي ب، و أ ليست ب) صادقين معاً بنفس المعنى. ويمكننا هذان المبدأن من أن نبرهن على حقائق معينة بوصفها حقائق أزلية. (ينظر: وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ١٤٢).

(٦) الحكمة الإلهية، أو بيان حكمة الله في الكون هو موضوع كتاب لايينتر (التيوديسا ١٧١٠).

(٧) ليينتر، مقالة في الميتافيزيقا، ص ١٠٣-١٠٤.

والإنسان وحده يستطيع أن يعرف الله من خلال معرفة الحقائق الأزلية الكامنة في الله ذاته (يوصفه كائناً مفكراً)^(١)، وبذلك يستطيع أن يدرك مقاصد الله ويعمل وفقاً لها، كما ويستطيع أن يكون عضواً في مملكة النعمة الإلهية^(٢). فإذا كانت النفوس - على وجه الإجمال - مرابا حية أو صور من عالم المخلوقات، فإن العقول هي بالإضافة إلى ذلك " صور من الإلهية، ومن مبدع الطبيعة ذاته، إنها تمتلك القدرة على معرفة نظام العالم... إذ أن كل عقل في مجاله أشبه بالإلهية صغيرة"^(٣).

لذلك لم تكن الميتافيزيقا عند لايبنتز مجرد ميتافيزيقا علمية تبرر العلم وتفسره، إنما كانت ميتافيزيقاه تستهدف الوصول إلى الحقائق الأولى والضرورية بنور العقل الذي هو قيس من النور الإلهي^(٤). " فالمعرفة بالحقائق الضرورية والأبدية هي التي تميزنا عن الحيوانات الخالصة، وبها نحصل على العقل ونتزود بالعلوم، وذلك حين ترفعنا إلى المعرفة بأنفسنا وبالله، وهذا هو ما يسمى فينا بالنفس العاقلة أو العقل"^(٥). فالعقائد مطابقة لأحكام العقل^(٦)، والعقل عند لايبنتز شرط ضروري وكاف لمعرفة الحقائق الدينية.

(١) التفكير مماثل للروح كميزة للعقول عن سائر الكائنات والجواهر، لذلك كانت هي الصور الجوهرية في مقالة لايبنتز عن الميتافيزيقا. (ينظر: لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا: ص ١٩٨-١٩٩). في حين أننا سنجد بأن مفهوم التفكير لديه يقابل مفهوم الإدراك الواضح أو الإدراك الواعي .Apperception

(٢) ينظر: كريم متى، الفلسفة الحديثة، ص ١٤٨.

(٣) لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٤) ينظر: نازلي إسماعيل، النقد، ص ٢٨ - ٢٩.

(٥) لايبنتز، المصدر السابق، ص ١٥١ - ١٤٢.

(٦) تعد هذه المطابقة أحد مبادئ العقلانية، وهي تنطبق على عقلانية لايبنتز في بيانه لصلة العقل بالإيمان والدفاع عن العقائد بالأدلة العقلية. (ينظر: المصطلح الفلسفي، ترجمة وإعداد: صفاء عبد السلام جعفر، ص ٣٧). لكن لايبنتز رفض القول بتقابل العقل مع العقيدة، وفضل القول أن الإيمان يؤسس على العقل، وبالتالي رفض القول أنه لا داعي لبذل الجهد وتقديم الحجج والمبررات للأمور التي تتصل بالاعتقاد، وكذلك القول بفصل الفلسفة عن اللاهوت. (ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة - العرض التحليلي، ص ١٢١).

فلايبنتر يثني على رأي لوك في تأسيسه الإيمان على العقل، مشيراً كذلك إلى بعض الفلاسفة الأرسطيين في تمسكهم بحقيقتين متقابلتين أحدهما فلسفية والأخرى لاهوتية^(١)، وهو يجادل ديكارت في فصله حقائق الفيزياء (ثمرة العقل) عن حقائق اللاهوت الصادرة عن (العقيدة). لذلك سعى فلايبنتر لإبراز مسألة الترابط العضوي بين القضايا الفيزيقية والمسائل الميتافيزيقية والدينية وعدم تعارض العقل مع العقيدة^(٢). لأن مجموع العقول أو الأرواح يؤلف بالضرورة مملكة كلية شاملة هي (مدينة الله) كعالم أخلاقي داخل العالم الطبيعي، فمملكة الله وقدرته تتجلى في كل شيء وفي كل مكان، وهذا إنما يدل على تجانس بين مملكة الطبيعة الفيزيائية ومملكة الفضل الإلهي الأخلاقية^(٣).

لذلك قصد فلايبنتر (بالعقل) في تقابله مع الإيمان: اكتشاف يقين أو احتمال القضايا المستمدة من المعارف المكتسبة بالإحساس أو التفكير. ويقصد (بالإيمان): التصديق الذي نعطيه لقضية قائمة على الوحي أي على اتصال غير عادي بالله لا يمكنه إطلاقاً أن ينقل للآخرين^(٤).

يتبين لنا أن المعرفة عند فلايبنتر هي معرفة بالحقائق الخالدة (Eternal Truths) وهي معرفة مطلقة تقوم على مبادئ المنطق والرياضيات ووجود الله، كما تقوم أيضاً على مبدأ اتصال الحقائق، والذي يسميها بحقائق العقل (Truth of Reason) لأنها واضحة وقبلية لا يتطرق إليها الشك، وهي عكس حقائق الواقع (Truth of Facts) البعدية، التي يتطلب إثباتها التجريب^(٥). وبذلك تكون (الأفعال التأملية) - التي هي نتيجة لمعرفتنا بالحقائق الضرورية- هي التي توصلنا إلى فكرة الأنا وتجعلنا نصف بأن هذا أو ذاك موجود فينا. لذلك كانت هذه الأفعال هي التي تمثل الموضوعات الأساسية لمعرفتنا العقلية، بحيث

(١) ينظر: لايبنتر، أبحاث جديدة، ص ٣١٥.

(٢) ينظر: لايبنتر، مقالة في الميتافيزيقا (تقديم الترجمة)، ص ١١.

(٣) ينظر: لايبنتر، المونادولوجيا، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٤) ينظر: لايبنتر، أبحاث جديدة، ص ٣١٨.

(٥) ينظر: إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة

والنشر - الإسكندرية، بلا ط، ٢٠٠٠، ص ٢٣٣.

يصبح الشعور أو الوعي (شعوراً ووعياً بالذات)^(١) عندما نتحقق من طبيعة الحقائق الأبدية الخالدة، أي عندما نعرف أنها هي المبادئ الفطرية التي يقوم عليها وجودنا ووجود العالم كله^(٢). "ومع ذلك فإننا نفكر مباشرة بأفكارنا الخاصة وليس بأفكار الله... فلا يعقل أن أفكر بأفكار غيري، بمعنى أننا نرى الأفكار عن طريق الله وليس في الله"^(٣). فالأساس الأخير ليقين الحقائق الضرورية هو "هذا الذهن السامي الكلي الذي لا يمكن أن ينقصه الوجود، والذي يضم مملكة الحقائق الخالدة - كما عرف ذلك أوغسطين - يجب أن تعد هذه الحقائق الضرورية العلة^(٤) التي تحدد المبدأ المنظم للموجودات نفسها، وبالإجمال هي قوانين الكون"^(٥).

المبحث الثالث/ مذهب المناسبة في نظرية المعرفة:

أولاً/ نقد لايبنتز للموقفين التجريبي والعقلي (لوك وديكارت أنموذجاً):

أ - نقد موقف لوك. يمثل كتاب لايبنتز (أبحاث جديدة في الفهم الإنساني ١٧٠١ - ١٧٠٩) رداً منهجياً لأطروحات جون لوك الأساسية في نظرية المعرفة، وتحديدًا في مؤلف الأخير (مقالة في الفهم البشري ١٦٩٠). ويلاحظ عن ذلك الرد التركيز على مسألة اقتناع

(١) يشير لايبنتز إلى أننا لا نرى الفكرة كاملة إلا إذا كانت معرفتنا واضحة داخل التصورات الغامضة، أو حين تكون حدسية داخل التصورات المميزة. (ينظر: لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص ١٧٨ - ١٧٩). لذلك هو يميز بين الإدراك، أو الوعي المحض، وإدراك العقل لنفسه Apperception أو الفهم الحقيقي لما يدرك. والأرواح وحدها هي التي تدرك نفسها، وتفكر في إدراكاتها في علاقات منطقية، وتحدد الحقائق الأزلية. (ينظر: وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ١٤٢).

(٢) ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١٤٢.

(٣) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص ١٨٥.

(٤) يشير لايبنتز إلى وجوب أن تكون هذه الحقائق مؤسسة في جوهر ضروري نجد فيه أصل الأفكار والحقائق المحفورة في نفوسنا، لأن هذه الحقائق الضرورية سابقة على وجود الكائنات العرضية. ففضايا العقل عامة ضرورية، أما فضايا الواقع فيمكن أن تكون عامة ولكن عموميتها ليست كاملة لأنها لا تعتمد على الضرورة. (ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٢٥٣).

(٥) لايبنتز، أبحاث جديدة: ٢٥٢ - ٢٥٣.

لايبنتز في أن المعرفة تنتقل من (الإمكان) إلى (الوجود)، لذلك كان الجدل بينهما قائماً حول: اكتساب المعرفة من جهة، وفطريتها من جهة أخرى.

فالمعنى الضيق للمعرفة عند لوك يتمثل -برأي لايبننتز- في أن المعرفة هي فقط: مجرد إدراك ما بين فكرتين من توافق وترابط، أو ما بينها من عدم توافق وترابط، في حين هي عند لايبننتز بمعناها الأوسع^(١):

١. العلاقة بين الأفكار، أو بين (الحدود، أو الوقائع، أو القضايا).
٢. المعرفة بمعنى وصف، وتفسير (الأشياء، أو الأفكار، أو القضايا، أو الحقائق).
٣. المباحث التي تتوسط الفكرة والقضية.
٤. وصف الأشياء المثالية.
٥. تفسير ودحض الخطأ.

كذلك فإن التفسير الوحيد لنظرية المعرفة عند لايبننتز مفاده " أننا نحمل معنا منذ البدء أفكاراً فطرية موجودة وجوداً (بالقوة) -على حد التعبير الأرسطي- وتحتاج إلى ما يخرجها من القوة إلى (الفعل)، أما الشيء الذي يخرج تلك المعرفة من القوة إلى الفعل فهو الشيء الحسي أو الإثارات الحسية"^(٢). فالقول أن مبادئ المعرفة فطرية فينا، يعني أنها موجودة على سبيل الإمكان لا بالفعل، ولايبنتز وافق لوك على أن التجارب التي تنفذ إلى العقل عن طريق الحواس لها كل الأثر في تكوين المعرفة، والفرق بينهما هو رأي لايبننتز في عدم (استحداث) هذه المعرفة وإنما (انتقالها) من وجود بالقوة إلى وجود بالفعل، أو من حالة الخمود إلى حالة اليقظة والنشاط^(٣). وعلى هذا النحو كانت المعرفة عنده فطرية من جهة ومكتسبة من جهة أخرى، لا مكتسبة وحسب كما ارتأى ذلك لوك.

ويبدو أيضاً في مناقشة لايبننتز لآراء لوك التركيز على أفضلية العقل على الحواس، فمثلاً يعقب لايبننتز على تمييز لوك بين يقين الحقيقة ويقين المعرفة، أن يقين المعرفة يكفي دون استخدام الكلمات، وأن من الممكن الحصول على عدد لا حصر له من القضايا العامة

(١) ينظر: المصدر نفسه - العرض التحليلي، ص ٩٦.

(٢) علي عبد المعطي، لايبننتز، ص ٢٥٠.

(٣) ينظر: أحمد أمين، قصة الفلسفة الحديثة، تصنيف: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة

والنشر -القاهرة، بلاط، ١٩٣٦، ص ١٩٢.

التي تصدر عن (العقل) وعن صفات أخرى نعرفها في موضوعها والتي لها حقائقها ومفاهيمها الداخلية التي يمكن أن نعرفها بالعلاقات الخارجية، لأن التكوين الداخلي للأجسام هو الذي يجعلنا نحصل على الصفات التي تخضع بدورها لأسباب (معقولة)، حتى عندما لا نستطيع معرفتها حسياً^(١). لذلك كان من الخطأ دائماً أن نقول أن كل تصوراتنا صادرة عن الحواس التي نسميها (تجربة خارجية)، لأن التصورات التي نمتلكها عن أنفسنا وأفكارنا وعن الوجود والجوهر والهوية والفعل إنما هي تصورات تصدر عن (تجربة داخلية)^(٢).

فالتجربة الحسية (الخارجية) لا يمكنها أن تزودنا بحقائق كلية وضرورية، لأنها لا تقدم إلينا غير معارف مختلطة من ناحية، وجزئية من ناحية أخرى لأنها تتعلق بأحوال مفردة وجزئية، والاستقراء الكامل غير ممكن. لهذا ليس لدينا غير التجربة الباطنة والذهن والعقل^(٣). "فالأفكار تكون أصلاً في ذهننا، وأن أفكارنا نفسها تأتي من أعماقنا"، أما الأفكار البسيطة فهي غامضة مثل تلك الخاصة بالصفات الخاصة بالحواس^(٤)، وذلك عندما لا يستطيع العقل الحكم باتفاق أو ارتباط تلك الأفكار^(٥).

وهكذا يقبل لايبنتز بالقول بالمأثور المدرسي، ولكن مع تقييد: " لا يكون في العقل شيء لم يسبق في الحس، إلا العقل نفسه، أو من يتعقل ". لأن مجموع الأفكار الفطرية هو العقل ذاته الذي به نتعقل، وأن ما هو فطري يعود بحصر المعنى إلى ما يكون فينا بمعزل عن كل تجربة خارجية، أي ما هو موضوع لتجربة داخلية. وعلى هذا النحو ترد الأفكار كلها

(١) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة - العرض التحليلي، ص ١٠٥.

(٢) ينظر: لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص ١٨٢.

(٣) ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج ٢، ص ٣٩١.

(٤) في إحدى انتقاداته لظاهرية المعرفة الحسية، يقول لايبنتز " قد يعترض البعض بأن الأبله لا يبدي تعقلاً ومع ذلك نعه إنساناً، ولكن إذا كان لديه شكلاً ممسوخاً فلن يكون إنساناً. هل هكذا نعتي بالشكل أكثر من العقل ؟ لا بدون شك ". (لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ١٨٣).

(٥) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ١٧٩ - ١٨٠.

إلى ذلك (المعقول)، إلى ذلك الموضوع للعقل المحض الذي هو الأنا المعطى في التجربة الداخلية^(١).

إذن الحواس لا تعطينا الحقيقة العامة التي تتصف بالضرورة الكلية، إنما تعطينا أمثلة من الحقائق الجزئية والفردية (أي معرفة ما هو موجود). فالحقائق الضرورية كما نجدها في الرياضيات الخالصة والهندسة لا تخضع مبادئها للحواس^(٢)، يلزم عن ذلك أننا استخلصنا هذه الحقائق جزئياً مما هو موجود فينا. أي لا بد من أن تستمد معرفة هذه الحقائق (الأزلية) من أفكار فطرية، التي قد لا نكون على وعي بها في الواقع، حتى تجلبها الظروف^(٣) والتأملات إلى نطاق انتباهنا^(٤). من هنا رفض لايبنتز قول لوك (أن الأفكار البسيطة مكتسبة وتعتمد على الحواس)^(٥) ويؤكد أنها فطرية لا تخضع لأي تأثير مباشر على النفس وأن أساس يقين الحقائق الأزلية (الضرورية والكلية) يكون في الأفكار نفسها مستقلة عن الحواس، أما حقيقة الأشياء العرضية فتعتمد على مدى ارتباط الظواهر التي نعرفها بالحواس بالصورة التي تتطلبها الحقائق الذهنية^(٦).

ب - نقد موقف ديكارت: يمكن إجمال مواضع نقد لايبنتز لديكارت في مسألتين: الأولى هي صلة المعرفة بالمنهج عند ديكارت، والثانية تتضمن تفسير ديكارت للوجود الخارجي.

(١) ينظر: اميل برهيه، تاريخ الفلسفة، - القرن السابع عشر -، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، ط ٢، ١٩٩٣: ج ٤، ص ٣١٣.

(٢) ينظر: نازلي إسماعيل حسين، النقد، ص ٢٦.

(٣) المقصود بالظروف هنا (المناسبات) أو (الفرص) التي تتدخل فيها إرادة الله، رغم أن لايبنتز ينتقد مالبرانش لاعتماده هذه النظرية دائماً في كل تفسير. ينظر: جنيفاف روديس، ديكارت والعقلانية، ص ١١٣-١١٤.

(٤) ينظر: وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ١٤١-١٤٢.

(٥) في مقابل الأفكار البسيطة يرى لايبنتز أن الأفكار المركبة ليست من اختراعنا، كما أن أفكارنا عن الجواهر التي توجد خارج أنفسنا تكون حقيقية بقدر اتفاقها مع النماذج الأصلية الموجودة الموجودة في عقولنا، وإذا عجز العقل عن الحكم باتفاقها أو ارتباطها أصبحت غامضة شأنها شأن الصفات الخاصة بالحواس. (ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ١٧٩ - ١٨٠).

(٦) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة - العرض التحليلي، ص ١٠٢.

فجوهر المنهج في تصور لايبنتز هو أن يمدنا بخط التوجيه^(١)، على خلاف ما اعتقده ديكرت حين جعل البداهة والوضوح معياراً للحقيقة والأفكار الصحيحة. أي أن منهج ديكرت جيد من حيث غاياته، ولكنه غير كاف بالنظر إلى غموض قواعده، ولذلك أعاد لايبنتز النظر في مدلول أفكار ديكرت (الجلية الواضحة)، وأضفى عليها دقة جعلتها أكثر فعالية^(٢). وإذا كان موقف ديكرت نقدياً لكل فلسفة قديمة، فإن لايبنتز يتحدث عن القدامى بأنهم علموا بعضاً مما يقول، حتى أنهم ليسوا بعيدين كل البعد عن الحقيقة ولا هم سذج كما يتخيلهم الفلاسفة الجدد - ومنهم ديكرت -، فمثلاً: لايبنتز يؤيد فكرة الصور الجوهرية Forms Substantially الأرسطية في تفسير العالم، أو (جزئيات الفيزيقا)^(٣) وهي الفكرة التي انتقدها ديكرت.

والخلاف هنا قائم في النظرة إلى العقل في تفسير الوجود، فالإنسان برأي لايبنتز لا يجد المبادئ الضرورية أو (الحقائق) جاهزة في عقله كما يعتقد ديكرت، ولكن العقل بفاعليته يستطيع أن يقوم بالحقيقة، فالعقل هو الكلي بالقوة، أي هو موجود بوصفه إمكانية^(٤). لكن سؤال لايبنتز - كما أشرنا - يقوم على آلية انتقال العقل من القوة إلى الفعل، أي من فكرة الإمكان إلى الوجود. من هنا كان نقد لايبنتز للدليل الأنطولوجي عند ديكرت، والذي كان أساساً لتكوين فكرة الإمكان لديه، (فإذا كان الكامل ممكناً فهو موجود)^(٥). وبذلك يصبح (الإمكان) مرتبط ارتباطاً وثيقاً (بالوجود)^(٦).

كذلك فإن (التجربة الداخلية) عند لايبنتز تشير إلى شيء أشمل وأوسع من النور الطبيعي للعقل عند ديكرت، فهي تدل على كل ما هو موجود فينا بصورة طبيعية وعلى كل

(١) ينظر: بلبولة مصطفى، بحث (لايبنتز ديكرتياً)، ص ١٢٠.

(٢) ينظر: جنيفاف روديس، ديكرت والعقلانية، ص ١١٣.

(٣) ينظر: لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) ينظر: نازلي إسماعيل حسين، النقد، ص ٧٥.

(٥) يلاحظ هنا بواذر الطابع (النقدي) لمسألة الإمكانية، مع ملاحظة أن (كانت) مثلاً سار في اتجاه

عكسي، فبينما اتجه لايبنتز من الإمكان إلى الوجود، اتجه كانت من الوجود إلى الإمكان. (ينظر:

نازلي إسماعيل حسين، النقد، ص ١٨٤ - ١٨٥).

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ص ٨٤.

ما نراه في أنفسنا، حينما لا تتشوش علينا رؤيتنا الحاجات والنوازع الصادرة عن الجسم، فإلى جانب العقل هناك الغريزة المنسوجة من معارف مختلطة، وإن تكن فطرية: ففطرية الفكرة لا تستبعد - كما لدى ديكارت - اختلاطها^(١). والاختلاط هنا يعني اجتماع العقل والحدس والحس في تكوين المعرفة، لا الاعتداد بالعقل وحده وبنوره الفطري في تفسير الوجود والأجسام على وفق رؤية ديكارت، لذلك يقول لايبنتز: "الصعوبة الباقية هي بالنسبة لأولئك الذين لا يريدون تخيل إلا ما هو معقول، كأنهم يريدون رؤية الأصوات أو استماع الألوان، وهم الذين ينكرون وجود كل ما ليس ممتداً، مما يضطرهم إلى إنكاره"^(٢).

وكان حل لايبنتز لهذه الإشكالية - هو ضرورة التمييز بين الإدراك، والحالة الداخلية للمونادة التي تتمثل بها الأشياء الخارجية، وبين الوعي، وهو الشعور الذاتي، أو المتأملة لهذه الحالة الداخلية، لأن إغفال هذه التفرقة هو الخطأ الذي وقع فيه الديكارتيون الذين تجاهلوا وجود الإدراكات التي لا تكون مصحوبة بالشعور على نحو ما يفعل عامة الناس عندما يسقطون من حسابهم الأجسام^(٣) التي لا يدركونها إدراكاً حسيّاً^(٤). وهكذا فإن "النظر إلى فلسفة لايبنتز على ضوء الفلسفة الديكارتية لا يطلعنا على أصلاتها الحقيقية"^(٥).

ثانياً/ مبدأ التمايز والاختلاط في المعرفة:

يعد مبدأ التمايز والاختلاط في المعرفة بمثابة نتيجة لنقد لايبنتز للوك وديكارت من جهة، وتمهيد واضح لعقلانيته التوفيقية من جهة أخرى.

بداية يميز لايبنتز بين المعرفة الغامضة والمميّزة، فإذا تعرفنا على شيء من بين أشياء أخرى من دون التمكن من معرفة فوارقه وخصائصه، كانت معرفتنا (غامضة)، أما إذا

(١) أميل برهيه، تاريخ الفلسفة، ج ٤، ص ٣١٣ - ٣١٤.

(٢) لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ١٦٤.

(٣) ليس الجسم الآلي عند لايبنتز إلا من صنع الفكر الذي يؤلف بين إدراكاته، فليس للجسم وحدة حقة، وإنما وحدته آتية من إدراكنا، فهو موجود خيالي، فالنفس وحدة الجسم، والجسم وجهة نظر النفس. (ينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ١٣٣ - ١٣٤).

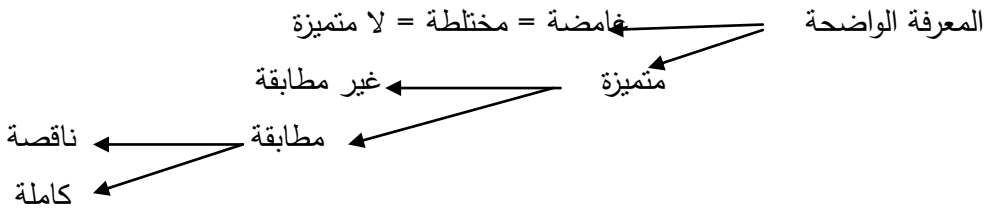
(٤) ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١٠٦ - ١٠٧، وأيضاً: ص ١٣١ - ١٣٢.

(٥) جنيفاف روديس، ديكارت والعقلانية، ص ١١٣.

استطعنا تمييز وتفسير العلاقات التي بحوزتنا عن لوحة زيتية أو الذهب الحقيقي من الزائف عن طريق التجارب، كانت معرفتنا (مميزة)^(١). لذلك كان " من الممكن أن نتجاوز ما نسميه معرفة أو يقين الإحساسات الحالية، مادام الوضوح والتمييز يذهبان أبعد وهذا نوع من اليقين"^(٢). والمعرفة المميزة درجات:

١. معرفة مطابقة (حينما يكون كل ما يدخل في تعريف أو معرفة مميزة معروفاً بصورة مميزة تصل إلى حد التصورات).

٢. معرفة حدسية (حينما يفهم ذهنياً في الآن نفسه وبطريقة مميزة كل العناصر الأولية لتصور ما)^(٣). ويلاحظ أن هناك إلى جانب المعرفة المطابقة - التي هي إما ناقصة أو كاملة - معرفة غير مطابقة (على الرغم من أنها متميزة وواضحة)، وكما هو موضح في المخطط الآتي:



فالمعرفة الحقة يجب أن لا تقتصر على الجمع بين الوضوح والتمايز، وإنما يجب أن تكون أيضاً وافية وحدسية بصفة كاملة. فإذا أنا أدركت بعض مكونات شيء مركب إدراكاً متمائزاً دون أن أدرك المكونات الأخرى سيكون إدراكي للشيء المركب قاصراً عن (التمايز الكامل)، ومن ثم فإنه غير واف. أما إذا أدركت جميع مكوناته بتمايز، فسيكون إدراكي للشيء المركب وافياً^(٤).

(١) ينظر: لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٢) لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٢٤٩.

(٣) ينظر: لايبنتز، المصدر السابق، ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٤) ينظر: ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، ص ٦٠ - ٦١.

ويرى لايبنتز بأنه بإمكاننا أن نجرب بأنفسنا الإدراك أو (الكثرة في وحدة الجوهر البسيط)^(١) عندما نجد بأن: أقل فكرة ندرکہا تتطوي على تنوع في الموضوع المتصور، ولهذا كان الإقرار بأن النفس جوهر بسيط تأكيداً لوجود هذه الكثرة في الوحدة^(٢).

وهكذا يبدو من نظرية الإدراكات الواضحة والمختلطة، أن الفارق بين الحس والعقل في فلسفة لايبنتز فارق كمي وليس كيفياً^(٣)، أي بالإمكان وصف الإدراكات الحسية إدراكات عقلية مبهمة ومختلطة، وكذلك الإدراكات العقلية إدراكات حسية أصبحت واضحة وتمييزة^(٤) "فلما كان الإحساس شيئاً يزيد على الإدراك البسيط، فقد يكفي أن نطلق على الجواهر البسيطة التي لا تحتوي على شيء آخر سواه أسم (المونادات)... أما تسمية (نفس) فيصح أن نقصرها على المونادات التي يكون الإدراك فيها أكثر تميزاً، كما يكون مصحوباً بالتذكر"^(٥). إذن الذاكرة أو عملية التذكر - عند لايبنتز - هي العلامة الدالة على الوعي أو الشعور تمييزاً له عن الإدراك غير الواعي أو الإدراك الغامض المختلط أو (اللامتميز)، مثلما يحدث لنا في حالة الإغماء أو الاستغراق في نوم عميق بلا أحكام.

والحال، برأي لايبنتز: "إننا سنكون دائماً في حالة الإغماء إذا خلت إدراكاتنا من التميز والتطلع إلى مرتبة أسمى... ولما كان الإنسان يفتن إلى إدراكه بمجرد أن يفيق من الإغماء فلا بد أن مثل هذا الإدراك قد وجد لديه قبل ذلك مباشرة، وإن لم يكن عندئذ على وعي به. لأن الإدراك لا يمكن أن ينشأ نشأة طبيعية إلا عن إدراك آخر"^(٦). فالحدود التي تقيد المونادات لا تتمثل في الموضوع وإنما تتمثل في أسلوب المعرفة المختلف بالموضوع. إنها جميعاً تسعى على

(١) الحالة العابرة التي تضم كثرة في وحدة الجوهر البسيط يسمى تمثلها عند لايبنتز بالإدراك، وكان الإدراك هو التعبير عن أشياء كثيرة في شيء واحد. وفي هذا يختلف موقف لايبنتز عن موقف لوك في تفسير العلاقة أو الروابط بين الأفكار. ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١٣١.

(٢) ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٣) على اعتبار أن الفارق الكيفي بين الحس والعقل مخالف لفكرة التدرج في وضوح الإدراكات وتميزها.

(٤) ينظر: جلال العظم، دراسات، ص ١٤٤.

(٥) لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١٣٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

نحو مختلط (غامض) للوصول إلى اللامتاهي، إلى الكل، ولكنها تظل محدودة ومتميزة عن بعضها البعض عن طريق درجات وضوح الإدراكات وتميزها^(١).

هذا التدرج في المعرفة أدى بلايبنتز إلى وصف (التجربة) بأنها شرط ظهور الكائنات في النفس وتطبيقها - كما هو الحال عند أفلاطون -، أي " أن التجربة مجموع المعارف والحقائق الحادثة العارضة للنفس من ذاتها، بينما (العقل) يعني مجموع المبادئ الضرورية اللازمة منها"^(٢). كذلك فإن موقف لايبنتز من الأفكار، ووصفه إياها بأنها موجودة بالقوة في الذهن، وخروجها إلى الوجود عن طريق ما تثيره الحواس والتجربة هو الأساس في وصفه المعرفة كونها: فطرية^(٣) من جهة، ومكتسبة من جهة أخرى لا مكتسبة وحسب كما حدد ذلك لوك.

كذلك، أراد لايبنتز أن يوسع نظرياته بمقابل نظريات ديكارت، بمقدار ما يتشكك من أثره^(٤). فإذا كان ديكارت يؤمن بالحدس والاستدلال فإنه يرفض شهادة الحواس، تلك الحواس التي يقبلها لايبنتز كمثيرات حسية، ولها أيًا ما كانت دورها في نظرية المعرفة.

فالمعرفة التي تولد مع الطفل تكون بادئ الأمر غارقة في اللاشعور^(٥)، وتظل غامضة مهوشة حتى تدركها التجربة، وحياة العقل عبارة عن تقدم مطرد مستمر من إدراك مضطرب إلى إدراك دقيق محدود، شأنه في ذلك شأن كل (موناة) في الكون^(٦) حياتها انتقال من الغموض إلى الوضوح في الإدراك^(٧). وإن ما يجعل الفلسفة أسهل - بنظر لايبنتز - هو أن لا نتصور الأشياء غير المعروفة بشكل (غامض) إلا بنفس الطريقة التي نتصور بها تلك التي تكون

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٣) مجموع الأفكار الفطرية - عند لايبنتز - قبلية، أي أن ذلك المجموع هو العقل نفسه، أي بنيته، التي ليست سوى جملة القوانين والمبادئ الضرورية للفهم. (ينظر: بلولة مصطفى، بحث "لايبنتز ديكارتيًا"، ص ١٢١).

(٤) ينظر: جنيفاف روديس، ديكارت والعقلانية، ص ١١٢.

(٥) وفي هذا لا يتفق لايبنتز مع رأي ديكارت أن المعرفة التي تولد مع الطفل تكون عند الولادة محددة وواضحة.

(٦) ينظر: أحمد أمين، قصة الفلسفة الحديثة، ص ١٩١.

(٧) يرى لايبنتز إن إدراكاتنا الغامضة إنما هي نتيجة الانطباعات التي يتركها فينا العالم بأكمله، وكذلك الشأن مع كل موناة، وهذا يمثل الجانب السلبي لمعرفتنا، أي ما نتلقى من انطباعات حسية من العالم الخارجي. (ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١١٦).

معروفة لنا (بتميز). فهذه هي الطريقة الأغنى، لأن الطبيعة يمكن أن تغيرها إلى ما لا نهاية، وهذا ما تفعله بوفرة وبنظام وبأكبر قدر يمكن تصوره^(١).

ثالثاً/ العقلانية التوفيقية في نظرية المعرفة:

للمنهج النقدي حضور واضح في ثنايا تفسير لايبنتز لحقيقة المعرفة، ذلك المنهج الذي سعى فيه إلى إيجاد وحدة في الكثرة وتوافق في المجموع. وكما يقول برتراند رسل: " إن الفلسفة ترمي إلى المعرفة... والمعرفة التي تصبو إليها إنما هي ذلك النوع من المعرفة الذي يكسب مجموعة العلوم وحدة ويضفي عليها نظاماً، ذلك النوع الذي يأتي من التمهيص الدقيق والنقد النافذ للأسس التي تقوم عليها آراؤنا وأحكامنا ومعتقداتنا"^(٢).

والحقيقة أن تفكير لايبنتز هو تفكير شمولي يستغرق كثير مما قاله أسلافه، فهو يتجاوز التضاد بين القدماء والمحدثين في نظام شخصي. ويتضح ذلك من قوله: " في آراء الفلاسفة واللاهوتيين والمدرسيين تماسكاً أكبر مما نتصور شريطة أن نستعملها في السياق والمكان المناسبين. واقتناعي أنه إذا كلف عقل دقيق تأملي نفسه عن توضيح أفكارهم واستيعابها... فإنه سيجد كنزاً يضم مجموعة من الحقائق المهمة جداً والبرهانية تماماً"^(٣). فمثلاً إن نقد لايبنتز لديكارت يكمن في اقتصار ديكارت على الأفكار الواضحة أو الذرات الأولية للمعرفة، دونما اعتناء بالأفكار الغامضة أو الإحساسات الخارجية التي هي عند لايبنتز بمثابة الذرات الثانوية. أي في افتقار ديكارت على الحقائق التي تعتمد على مبدأ التناقض دونما اكتراث بتلك التي تعتمد على مبدأ السبب الكافي^(٤).

ومع ذلك، فإن لايبنتز لم يتوقف عند النقد فحسب، إنما كان موقفه من المعرفة توفيقياً بين (لوك وديكارت). فطريقنا إلى المعرفة هو العقل بما يحتويه من أفكار كامنة فيه بالقوة، والحس الذي يخرج عن طريق الإثارات الحسية تلك الأفكار الكامنة في العقل من القوة إلى الفعل مضافاً إليهما الحدس، لذلك فإن قوانين الحركة ذاتها لا يمكن استنباطها بطريقة قبلية، بل لا بد

(١) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ٣١٠.

(٢) برتراند رسل، مشاكل الفلسفة، ص ١٣٨.

(٣) لايبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٤) ينظر: علي عبد المعطي، لايبنتز، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

من الرجوع إلى التجربة^(١) من أجل العلم بها^(٢). فالتصورات جميعها أصلها بسيط، قليلة العدد تتوالد بفضل التركيب. والتفكير هو كشف الغطاء عن كل العلاقات الموجودة بين التصورات البسيطة^(٣). لأن أفكارنا عن الصفات الحسية (كاللون والطعم) تصدر عن الحواس (أي من أفكارنا المختلطة)، وأن أساس حقيقة الأشياء العرضية والمفردة يكون في النجاح الذي يجعل ظواهر الحواس مرتبطة بالصورة التي تتطلبها الحقائق الذهنية^(٤).

فمثلاً (إقليدس) كان يبرهن بالعقل على كل ما نراه في التجربة وفي الصور الحسية، لذلك فإن الأخلاق والميتافيزيقا والمنطق، تخضع كلها للحقائق الضرورية وللمبادئ الداخلية التي نسميها فطرية. ولكننا لا نستطيع أن نقرأ هذه المبادئ في النفس كما نقرأ كتاباً مفتوحاً. وإنما نحن نكتشف في ذاتنا بانتيابها كلما توفرت لنا (مناسبة) لذلك بواسطة معطيات الحواس، وبذلك يكون دائماً نجاح التجارب توكيداً للعقل^(٥). فالموقف المثالي الموضوعي الذي يعبر عن طبيعة المعرفة عند لايبنتز هو أنه: "ليست المعرفة فقط، بل أن المادة التي يعمل عليها الفكر، أي عالم الأشياء (العالم الخارجي) هي أيضاً من نتاج النشاط الذهني"^(٦). وعلى الإجمال العقل عند لايبنتز هو مصدر كل معرفة ضرورية، وأن قيمة الحواس تكمن في أنها تقدم للعقل (المناسبة) التي يظهر فيها الحقيقة^(٧)، ومن هنا أطلق على مذهبه في المعرفة أسم مذهب المناسبة^(٨).

(١) يقول لايبنتز: " إذا كان الحيوان لا ينشأ أبداً نشأة طبيعية، فإنه لا يفسد كذلك بطريقة طبيعية... وهذه التأملات التي تمت بطريقة بعدية واستخلصت من التجربة تتفق تمام الاتفاق مع المبادئ التي استنتجت فيما سبق بطريقة قبلية ". (لايبنتز، المونادولوجيا، ص ١٧٠).

(٢) ينظر: لايبنتز، المونادولوجيا (هامش المترجم)، ص ١١٤ - ١١٥.

(٣) ينظر: أيوب أبو دية، العلم والفلسفة الأوربية الحديثة، ص ١٨٤.

(٤) ينظر: لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ١٧٩.

(٥) ينظر: نازلي إسماعيل حسين، النقد، ص ٢٦ - ٢٧.

(٦) فرانسوا غريغوار، المشكلات الميتافيزيقية الكبرى، ص ٤٩.

(٧) يقول لايبنتز: " بسمي البعض الحقيقة الأخلاقية صدقاً، ونعد الحقيقة الميتافيزيقية لدى عامة الميتافيزيقيين على أنها صفة للوجود، ولكنها صفة غير مفيدة وتكاد تكون خالية من المعنى، ولنكتفي إذن بالبحث عن (الحقيقة) في تراسل القضايا التي في الذهن مع الأشياء التي تخصها ". (لايبنتز، أبحاث جديدة، ص ١٨٧).

(٨) ينظر: نازلي إسماعيل، المصدر السابق، ص ٢٧.

لذلك كان نقد لايبنتز لموقفي (لوك وديكارت) من المعرفة قائماً على أساس تجاهل كل منهما لعامل من العاملين الهامين في المعرفة وهو (الضروري والعرضي)^(١)، فبينما ينكر لوك ما هو ضروري وما هو قائم على مبدأ عدم التناقض، ينكر ديكارت ما هو عرضي وما هو قائم على مبدأ السبب الكافي، فالحقائق الضرورية والأبدية عند لايبنتز - وهي بمثابة الأفكار الواضحة والمميزة عند ديكارت - هي ذرات أولية (A priori) عند لايبنتز، وهي محتاجة إلى الذرات الثانوية (A posteriori) التي هي بمثابة الأفكار البسيطة عند لوك لكي يتصافرا معاً في تكوين المعرفة وتشكيلها^(٢). فالمعرفة الصحيحة يجب أن تتصف بصفيتين: الضرورة والكلية، والغرض من معرفتنا هو الوصول إلى مذهب شامل لكل العلوم، محكم الترابط، برهاني، مؤلف من حقائق ضرورية وكلية^(٣).

الاستنتاجات:

- يمكن الإشارة إلى أبرز نتائج البحث وعلى النحو التالي:
١. لا يمكن فصل نظرية المعرفة عند لايبنتز عن فكرة الجواهر الروحية أو المونادة، نظراً لارتباط الابستمولوجيا بالانطولوجيا في فلسفته.
 ٢. المعرفة عند لايبنتز متدرجة مترابطة، ويؤسس ذلك على مدى اختلاف طوائف الموناد - التي منها يتألف العالم -، وتميز نمط المعرفة الحدسية عن المعرفتين الحسية والعقلية تبعاً لمبدأ الإدراكات الواضحة والمتميزة.
 ٣. على الرغم من امتزاج نظريته المعرفية بالطابع الروحي، لم يخرج لايبنتز في المضمون المعرفي عن الإطار العقلاني العام، وذلك لاستناده على مبدأي (عدم التناقض) (والعلة الكافية) المنطقيتين في تأسيس دعائم المعرفة ذاتها.

(١) أكد لايبنتز على نوعين من الحقائق: الحقائق العرضية - التي أهملها ديكارت - وتعتمد على الحس والتجربة، لذلك كان دليها بعدي لا قبلي، لأنها تقوم على مبدأ السبب الكافي (الذي يوضح ما بينها من ارتباطات وعلاقات). والحقائق الضرورية - التي أهملها لوك -، وتعتمد على النفس، وتشير إلى الكلية أو اليقين المطلق، لذلك كان دليها قبلي لا يعتمد على التجربة والعالم الخارجي. (ينظر: علي عبد المعطي، لايبنتز، ص ٢٦٣).

(٢) ينظر: علي عبد المعطي، لايبنتز، ص ٢٥٨.

(٣) ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج ٢، ص ٣٩١.

٤. أن تكون هنالك جذور ميتافيزيقية لنظرية المعرفة عند لايبنتز، فذلك يعني أنه أسس الميتافيزيقا على العلم، وفي هذا وصف صريح لإسهام ملامح فلسفته في ررد أفكار ورؤى عصر التنوير .
٥. الإنسان وحده بين الكائنات الأخرى قادر على بلوغ الحقيقة السامية العليا أو الحقائق الأزلية، وذلك لتميز النفس الناطقة العاقلة والشاعرة عن باقي المونادات في العالم.
٦. تقوم فطرية المعرفة واكتسابها على مبدأي هوية اللامتمايزات والقاعدة التوفيقية في المعرفة، لذلك جمع لايبنتز بين الطبيعية (الواقعية) لنظرية المعرفة وبين الطبيعة (المثالية) لها.
٧. لقد حددت توفيقية لايبنتز معالم مذهب المناسبة في تفسيره لنظرية الإدراكات، وانتقال المعرفة من حيز (الإمكان) أو القوة إلى حيز (الفاعل) أو التحقق، فكان مبدأ التمايز والاختلاط في المعرفة أساساً في بيان مضامين ذلك الانتقال.
٨. تميزت نظرية المعرفة عند لايبنتز بطابعها النقدي المتمثل في اختباره لقدرة الإنسان على بلوغ المعرفة والحقائق من جهة، وموقفه النقدي لفلسفتي لوك وديكارت في المعرفة من جهة أخرى.

Leibniz's theory of knowledge

Abstract

Asst.Prof.Dr.Ziad Kamal Mustafa

Leibniz's rationality of the theory of knowledge is characterized by two fundamental features: the first is the conformity between the theoretical methodological fundamentals of knowledge and the metaphysical roots of human knowledge. The second is his attempt to conform between philosophical patterns opposite in their stance to the knowledge. So, to what extent the monad philosopher contributed to setting up logical pillars for the knowledge?. How successful was he in linking the epistemology to ontology?. And how influential was he in establishing a critical stance compatible with the knowledge?, These questions are the core of the present research .

Key words: Knowledge, Monad, Metaphysics, The appropriate doctrine .